مجلة

المنار

المجلد الخامس

الجزء السابع والثامن

إهداء من

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تابعوا ...

الجديد في طرق
NEW & EXCLUSIVE

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : إن للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

مصر في يوم الاثنين غرة ربيع الثاني سنة ١٣٢٠ * ٧ يوليو (حزيران) سنة ١٩٠٢

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ باب العقائد من الأمالى الدينية ﴾

(الدرس ٣٥ — عدد الأنبياء ومواطنهم وتعددهم)

(المسألة ٩٦) عدد الأنبياء والمرسلين رووا فى عددهم أحاديث لا يحتج بشىء منها ومنها الضعيف والموضوع وأمثلها ما رواه أحمد والطبرانى وابن حبان والحاكم وابن مردويه والبيهقى فى الأسماء عن أبى أمامة قال : قلت يارسول الله كم عدة الأنبياء ؟ قال « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا » وفى رواية للحاكم والبيهقى عن أبى ذر «والمرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر وآدم نبى مكلم» . ومن حديث أنس عند الحاكم وابن سعد أن الأنبياء ثمانية آلاف ويفهم منه أن المراد بهم المرسلون وفى حديث جابر عند ابن سعد وأبى سعيد عن الحاكم « إنى خاتم ألف نبى أو أكثر » ولعدم الثقة بهذه الروايات قال العلماء بالوقف فى مسألة عدد الأنبياء لأن القائل بعدد يكون نافيا لما زاد عنه فهو كالمكذب بالزائد وما يدريه لعل هناك زيادة . هكذا قالوا وأقوى منه أنه قول على الله بغير علم فهو من الكذب عليه جلّ ثناؤه ومن اتباع الظنّ فى الأمور الاعتقادية « وان الظن لا يغنى من الحق شيئا» . وقد قال تعالى لنبيه « مِنهم مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ ومنهم مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ » فحسبنا من العدد ماقصه الله تعالى فى القرآن أن الرسل الذين ذكروا فى القرآن يجب الإيمان بهم تفصيلا . قال تعالى « وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إبراهيمَ عَلَى قومه نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إن ربكَ حكيم عليم . ووهبنا له إسحٰق ويعقوب كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وسُلَيمانَ وأيوب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين. وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين» فهذا هو تفضيل النبوة والرسالة يفضلون به سائر الناس. وقد وردت هذه الأسماء متصلة على هذا الوجه. وقال تعالى: «واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا» وقال جل جلاله في ذكر قصص المرسلين «وإلى عاد أخاهم هودا» وقال «وإلى ثمود أخاهم صالحا» وقال «وإلى مدين أخاهم شعيبا» أي وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً ومثله ما بعده وقال تعالى «واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار» فذكر ذا الكفل بين الأنبياء. ولم يبق إلا ذكر الفاتح وهو آدم والخاتم وهو محمد عليهم الصلاة والسلام وذكرهما في القرآن مستفيض

(م ٩٧) معاهد الأنبياء ومواطنهم: إن المعروف من تاريخ هؤلاء الأنبياء الكرام يدل على أنهم كانوا كلهم أو جلهم من بلاد العرب وما يتصل بها من الشام وفلسطين والعراق كأن هذه القطعة الصغيرة من الأرض التي يكون منها الفاموس الهندي والبحر الأحمر والبحر المتوسط شبه جزيرة هي منبت الأنبياء والمرسلين من بعد آدم أي من عهد نوح إلى عهد محمد عليهما الصلاة والسلام. وكأن الله تعالى اختص أهلها بالهداية دون سائر خلقه وان القول بحصر النبوة والرسالة في هذه البقعة لمن أقوى شبه الملاحدة على الدين وهو ينافي ما تقدم في بيان وجه الحاجة إلى إرسال الرسل فيمكن أن يبطلوا ذلك بهذا إن صح وقد حملهم ما رأوا في كتب اليهود والنصارى من حصر الأنبياء في بلاد فلسطين والشام وما

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

جاورها على البحث فى أخلاق أهل هذه البلاد وطبائعهم وعاداتهم فزعموا أن عند خواصهم استعداداً آخاصاً للقيام بالدعوات الدينية والمذاهب والرياسة الروحية وأن عند عوامهم استعداداً لإجابة كل داع واتباع كل ناعق قالوا ولأجل هذا حدثت الأديان والمذاهب والفرق فى هذه البلاد دون غيرها

هذه الوساوس لا منفذ لها إلى قلب من يفهم القرآن فقد قال جلت حكمته « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نذير » فهذا نصٌّ قاطع صريح فى أن هذه الرحمة الإلهية والهداية السماوية كانت منحة عامة لجميع الأمم فى كل بقعة من بقاع الأرض. وإنه لقولٌ فصل ، تصافح فيه العقل مع النقل ، فإن قيل لِمَ لَمْ يذكر فى بيان هذا الإجمال بذكر الأنبياء والمرسلين نبيًّا أرسل فى الهند أو الصين أو أوربا أو أميركا ؟ نقول إن ذكر الأنبياء لم يأت بياناً لإجمال فى هذه الآية وإنما أتى لبيان سنن الله تعالى فى الأمم مع أنبيائهم لأجل العبرة للمنذَرين . وتثبيت المرسلين ، قال تعالى « لقد كان فى قَصَصِهم عبرة لأولى الألباب » وقال « وكلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ من أنباء الرُّسلِ ما نُثَبِّتُ به فُؤَادَكَ » وكل من العبرة والتثبيت إنما يكون بما هو معروف ولو بوجه ما ولذلك تكرر ذكر الأنبياء الذين تعرف أقوامهم أو بلادهم بالتفصيل أكثر مما لا يعرف إلا بالإجمال . ويكفى ذكر آية واحدة لبيان أن رحمته تعالى لعباده بإرسال الرسل لهدايتهم عامة لأن جميع الخلق عيال الله تعالى وهو بهم رءوف رحيم . أرأيت لو جاء هذا النبي العربي قومه بذكر نبي كان أرسل فى أميركا منذ مائة ألف سنة مثلا وذكر لهم بعض شأنه معهم أكان يحصل لهم من العبرة بعض ما حصل من أخبار أمة اليهود ، وخبر صالح فى ثمود ؟

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كلا إن ذكر المجهول المطلق يحمل على التخيل والاختراع ، ويقول الناس فى أمثالهم : إذا أردت أن تكذب فأبعد الشهود . ولذلك كان يأمرهم أحيانا بسؤال اليهود ، ونزل فى قصة ثمود ، « وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون »

وما يدرينا أن كونفشيوس كان نبياً مرسلاً إلى أهل الصين ، فإن آثار هدايته وحكمته لم تمح بالمرة وكذلك يقال فى بوذة فإن قيل يوجد فى عقائد القوم ما يحكم الإسلام بأنه لا يمكن أن يكون من دين الله لاسيما ما فى الديانة البوذية من الشرك بالله تعالى ؟ نقول أليس يوجد فى عقائد من صرح القرآن الحكيم بأن كتبهم سماوية ، وديانتهم إلهية ، أمثال هذه العقائد التى يعدها الاسلام وثنية ؟ فما يدرينا أن هذا دخل على القوم بالتأويل والتحريف كما دخل على من بعدهم إلى يومنا هذا « أَلَمْ يَأْنِ للذين آمنوا أن تَخْشَعَ قلوبُهم لذكرِ اللهِ وما نَزَلَ من الحق ولا يكونوا كالذين أُوتُوا الكتاب من قبلُ فطال عليهم الأمَدُ فقست قلوبهم وكثيرٌ منهم فاسقون » إذن إن طول الأمد على البعثة مظنة الفسوق عن أمر الله تعالى والعبر بين أيدينا وعن أيماننا وشمائلنا ، فألهمنا اللهم رشدنا

فإن قيل : إذا جوزتم أن تكون الأمم التى سبقت لها آداب سامية ، ومدنية زاهية ، قد استمدت ذلك من الديانة السماوية ، كما قلت فى الأمة الصينية ، فما هو الحكم فى الأمم الهمجية التى لا يكاد يفصلها عن الحيوان الأعجم إلاَّ بدوُّ البَشَرة والضحك بالطبع كبعض زنوج أفريقيا وسكان بعض جزائر القاموس المحيط الأعظم ؟ إن قلتم إنه بعث فيهم أنبياء فأين آثار هدايتهم فى الأمة ؟ وإن قلتم لمّا يُرْسَلْ إليهم رسول فأين العموم فى قوله

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تعالى «وإن من أمة لا خلا فيها نذير» فالجواب أن الله جلت حكمته خلق هذا الانسان وجعل كماله الوجودي بالارتقاء التدريجي في عمله بالكون وعمل الكون به فكلما استعد لمرتبة من مراتب ذلك الكمال أعطاه اياها فهو يأخذ دائماً بقدر استعداده . وإطلاق القول في العموم والخصوص يراعى فيه قيد ما عرف في نظام الوجود انه شرط له فاذا قلنا ان الأنثى تلد أو كل أنثى تلد فالمراد أنها تلد في سن الولادة وبشرطها الوجودي فلا ينقضه كون الصغيرة لا تلد . فاذا فرضنا أن المسئول عنهم لم يظهر فيهم مرشد ينذر قومه بما يعطيه الالهام الإلهي من المعرفة سوء ما هم فيه من إفساد ويدلهم على الحق وطرق الاصلاح فلا شك أن ذلك لعدم امتعدادهم لفهم الحق ومعرفة الخير من الشر

على أن عدم ارتقائهم في المدنية لا يدل على أنه لم يظهر فيهم نذير ولا مرشد لأن الناس في كل عصر لا يستفيدون في هداية الأنبياء إلا بقدر استعدادهم فكم من نبي لم يؤمن به إلا النفر القليل كما ورد في نوح عليه السلام . وكم من نبي لم يؤمن به أحد كما قال تعالى بعد ذكر قصة نوح «ثم بعثنا من بعده رسلاً إلى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل» وأكثر الأنبياء قد درست آثارهم في الشرق حتى أن صحف ابراهيم لم يحفظ منها شيء وهو أبو الأنبياء وخليل الرحمن والذي حفظت له الذكر الحسن جميع الأمم المؤمنة لأنها كانت قد ارتقت وصار فيها من يعرف قدر العظماء ويحفظه ولأن النبوة تسلسلت في ذريته باتصال فهل ينكر مع هذا أن لا يحفظ للأنبياء الذين يظهرون في الأمم الجاهلة الهمجية أثر ؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وذلك من عهد إبراهيم إلى عهد محمد خاتم النبيين فالأنبياء ليسوا سواء فى إصلاح الأمم فى عقائدها وأعمالها وآدابها وروابطها الاجتماعية لأن الحاجة إلى الاصلاح تختلف باختلاف الأمم والأقوام فالبدو أقل من الحضر ضلالا فى الفكر وأقل علما لأنهم أهل فطرة لم تتحكم فيها المذاهب الوضعية والآراء النظرية وأقل فساداً فى الأخلاق والآداب لسذاجتهم وبعدهم عن الترف وليس فى البداوة من الشئون الاجتماعية مثل ما فى الحضارة فتحتاج الى ما تحتاج إليه من الشرائع المدنية والقضائية والسياسية .

كان الناس على بساطتهم وسلامة فطرتهم فلما دبّ فيهم الفساد لم يفش إلا بالتدريج فكان يظهر فيهم الشرك فى العبادة وهو التوجه إلى شىء من المخلوقات يكون صلة بينهم وبين الخالق الذى تشعر به فطرتهم، ولا يحيط به علمهم ولا تحدّده مخيلتهم ، ويفشو فيهم بعض الشرور فيظهر الله فيهم واحداً منهم كبير العقل زكىّ النفس يلهم قلبه ويُوحى اليه أن ينذرهم العقوبة على ظلمهم وينهاهم عن الشرك والرذيلة ويأمرهم بضدهما وبذلك تستقيم حال من أطاعه لأن هذا الذى طرأ عليهم هو الذى يطفىء نور الفطرة بالتمادى فيكون الانسان به شيطاناً مريداً . ألا ترى أن من الأنبياء من لم يذكر له القرآن إلا الدعوة الى التوحيد فقط . ومنهم من ذكر له النهى عن معصية كانت فاشية فكان يدعو إلى التوحيد وينهى عنها دائما كما جاء فى قصة لوط من النهى عن الفاحشة دائما . وكقوله تعالى فى رسالة شعيب عليه السلام « وإلى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا اللهَ مَا لَكُم مِنْ إلهٍ غيرهُ ولا تنقصُوا المِكيالَ والميزان » ثم حكى عنه « وياقوم أوفوا المكيال والميزان » . فيفهم من تكرار ذلك أن المقصود الأعظم من رسالة شعيب عبادة الله تعالى وحده

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وإيفاء المكيال والميزان لأن قومه كانوا مُطَفِّفِين (كما كثر الباعة في مصر لهذا العهد) إذا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ولم تكن رسالة موسى بهذا الاختصار فقد كانت لها شريعة واسعة وفيها هجرة وحرب لأن معيشة الحضارة وحكم الاستبداد أثرا في بني إسرائيل تأثيراً أفسد طباعهم من جهة وجعلهم مستعدين لحياة مدنية فاضلة من جهة أخرى فكانت هدايتهم أصعب.

(م ١٠٠) تعدد الرسل ومراتبهم: كان الناس أمة واحدة على فطرة الله التي فطر الناس عليها وذلك عند ما كانوا على البداوة التي هي أقرب إلى الحياة الفردية منها إلى الحياة الاجتماعية فقضت سنة الارتقاء أن يزيدوا اجتماعا بالتدريج فكانت بعد البيوت والاسر العشائر والفصائل والقبائل والشعوب والأمم. وكانوا كلما ارتقوا درجة في الاجتماع تقوى فيهم الأطماع التي يقتضيها التنازع في الحظوظ ويكونون في حاجة الى علم واسع بالمصالح والمنافع المشتركة. وكان يظهر فيهم عند الدخول في كل طور من هذه الاطوار هداة يرشدونهم الى ترك الضار بأنفسهم منفردة ومجتمعة ويدلونهم على ما به تسلم أرواحهم من الفساد في الاعتقاد والاخلاق وفي ذلك سعادة الدنيا والآخرة. وبهذا وما قبله يعلم أن المقصود من بعثة الانبياء والمرسلين واحد في الجملة وانه يختلف في تفصيله باختلاف أحوال الاقوام وان أولئك الهداة المصلحين لم يكتسبوا علم اصلاح الامم اكتسابا بالتعليم وانما كانوا ممتازين بفطرتهم السليمة عن قومهم امتيازا كانوا به على علم بالاصلاح ضروري عندهم سعي لخفاء منشأه وسرعة حدوثه في النفس وحيا

(راجع الكلام على الوحي في المسألة ٦٤ من الدرس العشرين ـ ٤: ٢٥٢)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان علمهم مؤثرا فى النفس باعثا لها على العمل به لانه وجدانى إلهى لامن استنباط التصور والفكر الذى يصحبه الشك والتردد أى انه كان يقع فى قلب صاحبه ومعه علم آخر وجدانى وهو أنه من الله تعالى سواء نزل على القلب فى اليقظة أم فى المنام .

ونتيجة هذا وذلك أن علوم الرسل وأعمالهم متفاوتة بحسب أحوال أممهم وبذلك فضل الله بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات وسمى بعضهم أولى العزم ومنه ومن اختلاف اللغات فى الاقوام يعلم أنه الرسل قد يتعددون فى زمان واحد بين أقوام ولو متجاورين وقد يتعددون فى أمة واحدة للتعاون كموسى وهرون فى بنى اسرائيل. واذا كان فضل بعض الرسل على بعض يكون بحسب حال الأمم التى بعثوا اليها وما يستلزمه إصلاحها من العلم والعمل فموسى جدير بأن يكون أفضل من صالح وشعيب والمرسل الى الخلق كافة أفضل من المرسل الى أمة معدودة . وبهذه المناسبة ومناسبة كون إرسال الرسل كان على حسب حاجة البشر الى الاصلاح الروحى والاجتماعى نتكلم فى الدرس الآتى عن ختم النبوة وخاتم النبيين عليه أفضل الصلاة والتسليم

(ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)

بقلم الشيخ أمين أفندى عز الدين من اهل العلم والادب فى طرابلس الشام ونزيل مصر الآن

صدق الله العظيم وكذب هوس الناس : نقوم أمام المحراب تماثيل بشرية يحركها حكم العادة أيدينا بالتكبير وألسنتنا بالتلاوة والتسبيح ويحنى ظهورنا للركوع ويثنى عظامنا للسجود من غير أن يلم بنا شعور بهذه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأوضاع أو يفعل فى أنفسنا تأثير من تلك الأعمال فضلا عن نظر فى مقاصدها وتوجه إلى غاياتها ونحسبها من الصلاة التى قال فيها رب محمد صلى الله عليه وسلم : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ونحن مشمرون للفواحش عن ذراع سبحان الله نحن ما نحن مصلون .

الصلاة ما جعلها الله أفعالاً ميتةً وأوضاعاً جامدةً تقصد لذاتها ولكن جعلها مظاهر سكينة ومواقف خضوع تؤذن الناس أنها شعار مناجاة بين العبد وبين ربه كل يوم ليكون هذا الإنسان على نوع من ذكر الله تعالى فى معارك معاشه ومعامع حياته وفى الآخرة أعد الله له أجراً عظيماً .

تعالى الله أن يكلف قلوباً غلفاً ونفوساً جلفاً باختلاجات عضوية فارغة الإناء ثم يعد لفاعلها حسن الجزاء .

الصلاة أفعال مخصوصة ذات أركان معلومة جعلها دين الله الإسلامى مرقاةً لمراقبة المعبود أنزلت من السماء مائدة تحمل للأرواح غذاءها من العالم النورانى كيلا تضل فى الغربة ويتغلب عليها سلطان الشهوة الذى يأتيه رزقه من مطاعم هذه الطبيعة كل يوم . خلق هذا الإنسان عالمين متباينين لكل منهما مطالب تناسب طبيعته وتلائم درجته فى الوجود. أحدهما: مادى كثيف حكم الله عليه أن يتكفف هذه الطبيعة فى وجوده وبقائه والثانى: أثيرى لطيف يستمد وجوده من النور القدسى ويستفيض بقاءه من النفحات الإلهية فالأول جسم والثانى روح .

تناول الجسد وجوده من هذه البسائط الأرضية فجرت عليه قوانين الطبيعة واعتورته أحكام المادة من قوة وضعف وزيادة ونقص وتحلل وتركب وأصبح من أجل ذلك فى حاجة شديدة لتعويض ما تستلبه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

منه نواميس التحليل مثلاً بمثل وجنساً بجنس وذلك غذاؤه وأما الروح فهو وإن كان آمنا على وجوده من غارة الفناء وانحلال الأجزاء إلا أنه هبط من السماء وله مع العالم المادى شئون ايريد كل من المتجاورين أن يكون هو المتغلب ليتمكن من امتلاك هذ الهيكل الإنساني فيستعبده في أمياله ويتصرف فيه كيف يشاء ومن ثمة كان الروح مضطراً أن يستمد من عالمه العلوى ما يقوى به على التغلب أو يحفظ به مركز استقلاله وهذا هو غذاؤه، متى تمت الغلبة للروح رفرفت بهذا الإنسان إلى معاهدها الأولى فى مظاهر الملكوت ومصاف الملكية وأذنت له أن يتصرف بما فى آفاقه من الكونيات المادية إلى حيث يجعلها من خدم شئونه الحيوية على عكس من الجسد إذا تسنم صهوة القلب واقتعد سرير السلطة فإنه يهبط بالإنسان إلى عالمه فى الدركات السفلية وبرزخ المعجم من الحيوانات إلى حيث تترفع الطبيعة أن يمسها بكفه تصرف أو تمكنه من وطر ، فأى الطريقين خير ؟

أراد الإسلام بهذا الإنسان خيراً فختم عليه فى سائر أحواله أن يجيب مطالب عالمه الروحى ويتقاعس عن مشتهيات عالمه المادى ما استطاع ودعاه أن يقف بين يدى ربه سبحانه وتعالى خمس وقفات فى اليوم يناجيه بهيئة الذل وشعار الخضوع بحيث ينبذ ما سواه فى العراء ليتأهل لقبول الفيض الإلهى الذى هو لروحه غذاء تتقوت به وتعتمد عليه فى مناورة تهامع جسم والمادة وتلك هى الصلاة التى تنهى عما تنهى وتقرب إلى الله زلفى

تلك التى كفكفت جبروت أولئك القوم الجاهلية فى روح من الزمن وهى التى كان مؤمن القلب فى القرون الغابرة يتغيب فيها عن

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مشاعره بحيث لم يكن يشعر بالفواجع الخطرة والمؤلمات الجسدية ولو كان في هذه نشر عظمه أو عرق لحمه وهاهو تاريخ حياة القوم كانوا يصلون أو الصلاة ماهية دعامتها الخشوع . كانوا يصلون أن مافيها من الاعمال انما هو ركن ثانوي يقصد به تمثيل الخضوع القلبي على الجوارح ليشترك السر والعلانية في التذلل والسكينة فطفقوا يصلون متجردين عن المشاغل الفكرية وهو السبب فيما يبلغنا عنهم من الغيبة عن مشاهد الكون في خلال الصلاة أما نحن فاننا ذهبنا إلى ان الصلاة انما هي تلك الاعمال الظاهرية لادخل فيها لخشوع ولا يغني فيها خضوع وأقبلنا نجتزئ بتلك الوقفات الجمادية والاختلاجات اللسانية وهي لاتصدفنا عن فحش نأتيه ولا تنهانا عن منكر نفعله فهل تخلف قول القرآن أم نحن لم نكن مصلين ؟

نزعم أننا لم نخاطب خطاب التكليف بتلك الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر حيث فهمنا أنها هي الكاملة ويكأن القوم لا يعلمون !! هل أمر الله إذ أمر باقامة الصلاة ان تكون ناقصة أم دلت الاقامة في قوله تعالى (اقيموا الصلاة) على ذلك المعنى الناقص ؟

استغفر الله . قال صلى الله عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كانك تراه فإن لم تكن تراه فانه يراك . اللهم مالهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا

﴿ الملائكة والنواميس الطبيعية ﴾

سأل سائل : اذا كانت الملائكة هي عبارة عن القوى المعنوية . والنواميس التي بها نظام العوالم الحية . فما معنى « يوم يقوم الروح والملائكة صفا » وأمثاله ؟ والجواب : ان الذي تقدم في التفسير هو ان الملائكة عالم مستقل مستر عنا وانما كان ذكر القوى والنواميس الطبيعية جذبا لمنكري الملائكة الى التصدق لأن بعض ماورد يوافق ما يعتقدون فكيف يكفرون لاختلاف الالفاظ لأن الكلام كان ارجاعا لنصوص الدين الى أقوالهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ القسم العمومى ﴾

نموذج فى كتاب دلائل الإعجاز للامام عبد القاهر الجرجانى وهو يطبع الآن

فصل

(فى الكلام على من زهد فى رواية الشعر وحفظه . وذم الاشتغال بعلمه وتتبعه)

لايخلو من كان هذا رأيه من أمور (أحدها) أن يكون رفضه له وذمه إياه من أجل مايجده فيه من هزل أو سُخْفٍ وهجاء وسب وكذب وباطل على الجملة (والثانى) أن يذمه لأنه موزون مقفًّى ويرى هذا بمجرده عيباً يقتضى الزهد فيه والتنزه عنه (والثالث) أن يتعلق بأحوال الشعراء وأنه غير جميلة فى الأكثر ويقول قد ذُمُّوا فى التنزيل ، وأىٌّ كان من هذه رأياً له فهو فى ذلك على خطأ ظاهر ، وغلط فاحش ، وعلى خلاف ما يوجبه القياس والنظر ، بالضد مما جاء به الأثر ، وصح به الخبر .

أما من زعم أن ذمه له من أجل ما يَجِد فيه من هزل وسُخف وكذب وباطل فينبغى أن يذم الكلام كله . وأن يفضل الخَرَسَ على النطق والعِىَّ على البيان . فمنثور كلام الناس على كل حال أكثر من منظومه والذى زعم أنه ذم الشعر بسببه وعاداه بنسبته إليه أكثر لأن الشعراء فى كل عصر وزمان معدودون . والعامة ومن لا يقول الشعر من الخاصة عديد الرمل . ونحن نعلم أن لو كان منثور الكلام يُجمَع كما يُجمَع المنظوم . ثم عَمَد عامدٌ فجمع ماقيل من جنس الهزل والسخف نثراً فى عصر واحد لأربى على جميع ما قاله الشعراء نظماً فى الأزمان الكثيرة ولغمره حتى لا يظهر فيه ، ثم إنك لو لم ترو من هذا الضرب شيئاً قط ولم تحفظ إلا الجِدَّ المحض وإلا مالا يعاب عليك فى روايته وفى المحاضرة به وفى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

نسخه وتدوينه لكان فى ذلك غنى ومندوحة ولو وجدت طلبتك ونلت مرادك وحصل لك ماتحن ندعوك اليه من علم الفصاحة فاختر لنفسك ودع ماتكره الى ماتحب (هذا) وراوى الشعر حاك وليس على الحاكي عيب، ولا عليه تبعة، إذا هو لم يقصد بحكايته أن ينصر باطلاً، أو يسوء مسلما، وقد حكى الله تعالى كلام الكفار فانظر إلى الغرض الذى لهُ روىَ الشعر ومن أجله أريدَ وله دوّن تعلم أنك قد زغت عن المنهج وانك مسىء فى هذه العداوة وهي العصبية منك على الشعر. وقد استشهد العلماء لغريب القرآن وإعرابه بالأبيات فيها الفحش وفيها ذكر الفعل القبيح ثم لم يعبهم ذلك إذا كانوا لم يقصدوا إلى ذلك الفحش ولم يريدوه ولم يرووا الشعر من أجله. قالوا وكان الحسن البصرىّ رحمه الله يتمثل فى مواعظه وكان من أوجعها عنده:

﴿ اليوم عندك دلُّها وحديثها وغداً لغيرك كفها والمعصم ﴾

وفى الحديث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذكره المَرْزُبانى فى كتابه باسناد عن عبد الملك بن عمير أنه قال أوتىَ عمر رضوان الله عليه بحلل من اليمن فأتاه محمد بن جعفر بن أبى طالب ومحمد بن أبى بكر الصديق ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ومحمد بن حاطب فدخل عليه زيد ابن ثابت رضى الله عنه فقال ياأمير المؤمنين هؤلاء المحمّدون بالباب يطلبون الكسوة فقال ائذن لهم ياغلام فدعا بحلل فأخذ زيد أجودها وقال هذه لمحمد بن حاطب وكانت أمه عنده وهو من بنى لؤىّ فقال عمر رضى الله عنه أيهات أيهات وتمثل بشعر عُمارة بن الوليد:

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

اسرّك لما صرّع القوم نشوة خروجى منها سالما غير غارم (١)
بريئًا كأنى قبل لم أك منهم وليس الخداع مرتضى فى التنادم

رُدّها ثم قال ائتنى بثوب فألقه على هذه الحلل وقال أدخل يديك فخذ حلة وأنت لا تراها فاعطهم : قال عبد الملك فلم أر قسمة أعدل منها. وعُمارة هذا هو عُمارة بن الوليد بن المغيرة خطب امرأة من قومه فقالت لا أتزوجك أو تتركَ الشرابَ فأبى ثم اشتد وجده بها فحلف لها أن لا يشرب ثم مر بخمّار عنده شَرْب يشربون (٢) فدعوه فدخل عليهم وقد أنفدوا ما عندهم فنحر لهم ناقته وسقاهم بردية ومكثوا أياما ثم خرج فأتى أهله فلما رأته امرأته قالت ألم تحلف أن لا تشرب فقال :

ولسنا بشَرب أمّ عمرو إذا انتشوا ثيابُ الندامى عندهم كالغنائم
ولكننا يا أم عمرو نديمنا بمنزلة الرَّيان ليس بعائم (٣)

أسرك — البيتين ☆ فإذن : رب هزل صار أداة فى جد ، وكلام جرى فى باطل ثم أُستعين به على حق ؛ كما أنه رب شىء خسيس ، توصل به إلى شريف ، بأن ضرب مثلا فيه ، وجعل مثالا له ؛ كما قال أبو تمّام :

والله قد ضرب الأقلّ لنوره مثلا من المشكاة والنبراس

وعلى العكس فرب كلمة حق أريد بها باطل فاستحق عليها الذم كما عرفت من خبر الخارجى مع علىّ رضوان الله عليه ، ورب قول حسن

---

(١) صرع بالتشديد كصرع بالتخفيف . والضمير فى منها للنشوة السكر . ومن شأن المنتشى أن يتلف ماله فيخرج غارماً . وأن للامارة نشوة أدعى إلى الغرم ، وسكرة أبعث على الظلم ، ومثل عمر من يخرج منها وهو سالم ، لا ظالم ولا غارم ، (٢) الشرب بالفتح جماعة الشاربين (٣) العائم ذو العومة « كخيمة » وهى شهوة اللبن مع فقده

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لم يحسن من قائله حين تسبب به إلى قبيح كالذى حكى الجاحظ قال: رجع طاوس يوما عن مجلس محمد بن يوسف وهو يومئذ والى اليمن فقال: ما ظننت أنّ قولَ سبحان الله يكون معصية لله حتى كان اليوم سمعت رجلا أبلغ ابن يوسف عن رجل كلاما فقال رجل من أهل المجلس سبحان الله كالمستعظم لذلك الكلام ليغضب ابن يوسف، فبهذا ونحوه واعتبر واجعله حكما بينك وبين الشعر.

(وبعد) فكيف وضع من الشعر عندك وكَسَبَهُ لما لقيت منك انك وجدت فيه الباطل والكذب وبعض مالا يحسن ولم يرفعه فى نفسك ولم يوجب له المحبة من قلبك أن كان فيه الحق والصدق والحكمة وفصل الخطاب وأن كان مَجْنَى ثمر العقول والألباب، ومجتمع فرق الآداب، والذى قيَّد على الناس المعانى الشريفة، وأفادهم الفوائد الجليلة، وترسل بين الماضى والغابر، ينقل مكارم الأخلاق الى الولد عن الوالد، ويؤدى ودائع الشرف عن الغائب الى الشاهد، حتى ترى به آثار الماضين، مخلدة فى الباقين، وعقول الاولين، مردودة فى الآخرين، وترى لكل من رام الأدب، وابتغى الشرف، وطلب محاسن القول والفعل، منارا مرفوعا، وعلما منصوبا، وهاديا مرشداً، ومعلما مسدداً، وتجد فيه للنائى عن طلب المآثر، والزاهد فى اكتساب المحامد، داعيا محرضا، وباعثا، ومحضضا، ومذكراً وممروفا وواعظاً ومثقفا، فلو كنت ممن ينصف كان فى بعض ذلك ما يغير هذا الرأى منك، وما يحدوك على رواية الشعر وطلبه، ويمنعك أن تعيبه أو تعيب به، ولكنك أبيت الاّ ظنا سبق اليك، والا بادىء رأى عنّ لك، فأقفلت عليك قلبك،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وسددت عما سواه سمعك ، فمىّ الناصحُ بك ، (١) وعسر على الصديق الخليط تنبيهُك ، نعم وكيف رَويت « لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا فيريه (٢) خير له من أن يمتلىء شعراً » ولهجت به وتركت قوله صلى الله عليه وسلم : « ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا » (٣) وكيف نسيت أمره صلى الله عليه وسلم بقول الشعر ووعده عليه الجنة . وقوله لحسان « قل وروح القدس معك » وسماعه له ، واستنشادَه اياه ، وعلمه صلى الله عليه وسلم به ، واستحسانه له ، وارتياحَه عند سماعه ؟

(أمّا) أمره به فمن المعلوم ضرورة وكذلك سماعه إياه فقد كان حسان وعبد الله ابن رواحة وكعب بن زهير يمدحونه ويسمع منهم ويصغى اليهم ويأمرهم بالرد على المشركين (٤) فيقولون فى ذلك ويعرضون عليه . وكان عليه السلام يذكر لهم بعض ذلك كالذى روى من انه صلى الله عليه وسلم قال لكعب

---

(١) عى عجز أصله عيي فأدغم (٢) حديث رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن وغيرهم عن أبي هريرة وعن غيره والرواية المشهورة فيه « حتى يريه » أى يفسده وفى رواية بحذف حتى يريه وفى أخرى حذف حتى وقرأها بعضهم حينئذ يريه بالفتح وبعضهم بالضم ولم أر من رواه بالفاء « فيريه » كما فى نسخة المصنف . وفى رواية ابن عدى عن جابر « لأن يمتلىء جوف الرجل قيحاً أو دماً خير له من أن يمتلىء شعراً مما هجيت به » (٣) الحديث مشهور رواه أصحاب الصحاح وغيرهم ورواية المصنف ملفقة من روايتين فقد وردت كل جملة من طريق . وأما الجملتان معاً فقد جاءتا فى حديث ابن عباس عند أحمد وابن ماجه هكذا (إن من البيان سحراً وإن من الشعر حكماً) وعند ابن عساكر من حديث على باللام وله تتمة وهى « وإن من العلم لجهلا وإن من القول عيالا) (٤) روى الخطيب وابن عساكر عن حسان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : اهج المشركين وجبرائيل معك إذا حارب أصحابى بالسلاح فحارب أنت باللسان . وفى حديث جابر عند ابن جرير أنه قال يوم الأحزاب (من يحمى أعراض المؤمنين) قال

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

«ما نسى ربك وما كان ربك نسيا شعر آتلته»[1]. قال وما هو يارسول الله؟ قال: «أنشده ياأبا بكر» فأنشد أبو بكر رضوان الله عليه:

زعمت سَخِينَةُ ان ستغلب ربها ... وليُغْلَبَنَّ مُغالبُ الغلاَّبِ[2]

(وأمّا) استنشاده إياه فكثير. من ذلك الخبر المعروف فى استنشاده حين استسقى فسقِيَ قول أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمالَ اليتامى عصمةً للارامل

يُطيف به الهلاّك من آل هاشم ... فهم عنده فى نعمة وفواضل

الأبيات. وعن الشعبي رضى الله عنه عن مسروق عن عبد الله قال

كعب أنا يارسول الله فقال (إنك محسن الشعر) فقال حسان بن ثابت أنا يارسول الله قال (نعم اهجم أنت فسيعينك روح القدس) وكتب الأستاذ الامام فى هامش النسخة الأصلية بازاء اسم كعب: (لعله كعب بن مالك لأن ابن زهير وإن مدح لكنه لم يؤمر بالشعر للمناضلة عن الاسلام فقد وفد على النبى صلى الله عليه وسلم سنة تسع) ويؤيد قول الأستاذ مارواه ابن جرير عن ابن سيرين وملخصه أن المهاجرين رغبوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام أن يأمر عليا بهجاء الرهط الذين هجوه (وهم عمرو ابن العاص وعبد الله بن الزبعرى وأبو سفيان بن الحارث) فقال ليس على هنالك وعرض بالأنصار فانتدب لذلك حسان وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة. وفيه أنه استنشد كعباً وهو راكب ناقته فأنشد الأبيات التى أولها:

قضينا من تهامة كل ريث ... وخيبر ثم أجمحنا السيوفا

لخيرها ولو نطقت لقالت ... قواطعهن دوساً أو ثقيفا

قال: فأنشد الكلمة كلها فقال النبي صلى الله عليه وسلم (والذى نفسى بيده لهى أشد عليهم من رشق النبل) قال ابن سيرين: فبلغنى أن دوساً إنما أسلمت بكلمة كعب هذه. (١) قال الأستاذ الامام (هذا هو كعب بن مالك) (٢) كتب فى هامش الأصل: سخينة لقب تنبز به قريش لأنها كانت تأكل السخينة وهى طعام من دقيق الشعير واللحم وتسخن وذلك فى أيام المجاعات. والحديث رواه ابن منده وابن عساكر عن جابر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القتلى يوم بدر مصرّعين فقال صلى الله عليه وسلم لأبى بكر رضى الله عنه «لو ان أبا طالب حىّ لعلم ان أسيافنا قد أخذت بالأناميل» قال وذلك لقول أبى طالب (١)

كذبتم وبيت الله أن جد ما أرى ... لتلتبسن أسيافنا بالأناميل

وينهض قوم فى الدروع اليهم ... نهوض الرّوايا فى طريق حلاحل

(١) البيت الذى فيه لفظ الأناميل فى قصيدة أبى طالب هو قوله

وقد حالفوا قوماً علينا أظنة ... يعضون غيظاً خلفنا بالأناميل

والبيت الذى فيه كذبتم هو قوله :

كذبتم وبيت الله نترك مكة ... ونظعن إلا أمركم فى بلابل

وقوله : كذبتم وبيت الله ينزى محمدا ... ولما نطاعن دونه ونناضل

والبيت الذى فيه لتلتبسن الخ هو قوله :

وأنا لعمر الله إن جد ما أدوى ... لتلتبسن أسيافنا بالأنامل

والذى فيه ينهض الخ هو قوله

وينهض قوم فى الحديد إليكم ... نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل

وبهذا تعلم مافى بيتى الشيخ . اهـ من هامش الأستاذ الامام

(تفسيره) قوله أظنة جمع ظنين وهو المتهم . والظنة بالكسر التهمة وجمعها ظنين. وجمع فعيل على أفعلة غير قياسى ولكنه ورد ومنه قوله تعالى « أشحة عليكم » . وقول نترك مكة أى لا نتركها . ومثله قوله ينزى محمدا أى لا ينزاه ولفظ (محمدا) منصوب بنزع الخافض . يقال أزى فلان بفلان إذا غلبه وقهره أى لا تغلب بمحمد ولا تقهر عليه والحال أننا لم نطاعن دونه بالرماح و نناضل عنه بالسهام فالجملة المنفية بلما حال من نائب الفاعل . وقوله (لتلتبسن أسيافنا بالأماثل) أى لتختلطن بالاشراف بما تفتك بهم فى الحرب ، والروايا جمع رواية وهو مايستقى عليه من بعير وغيره ، والصلاصل القرب فيها بقايا الماء واحدها صلصلة بضم الصادين وهى بقية الماء فى الاداوة والقربة ـ يريد أن قومه ينهضون مثقلين بالحديد تسمع له قعقعة كصلصلة الماء فى المزادات

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن المحفوظ فى ذلك حديث ابن مسلمة الانصارى (١) جمعه وابن أبى حدرد الاسلمى الطريق قال فتذاكرنا الشكر والمعروف قال فقال محمد كنا يوما عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال لحسان بن ثابت : « انشدنى قصيدة من شعر الجاهلية فان الله تعالى قد وضع عنا آثامها فى شعرها وروايته » : فأنشده قصيدة للأعشى هجابها عَلْقمة عُلاثة

علقَمَ ما أنت إلى عامرٍ الناقض الاوتار والواتر

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ياحسان لا تعد تنشدنى هذه القصيدة بعد مجلسك هذا » فقال يارسول الله تنهانى عن رجل مشرك مقيم عند قيصر فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ياحسان أشكر الناس للناس اشكرهم لله تعالى، وان قيصر سأل أبا سفيان بن حرب عنى فتناول منى . وفى خبر آخر فشتمنى وأنه سأل هذا عنى فأحسن القول » فشكره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك . وروى من وجه آخر ان حسان قال يارسول الله من نالتك يده وجب علينا شكره ومن المعروف فى ذلك خبر عائشة رضوان الله عليها انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يقول « أبياتك » فأقول

ارفع ضعيفك لا يحُرْ بك ضعفُه يوما فتدركه العواقب قد نَمَى
يجزيك أو يثنى عليك وأنّ من أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

(١) الحديث رواه ابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج وابن عساكر عن محمد بن مسلمة بلفظ (ياحسان أنشدنى من شعر الجاهلية فان الله قد وضع عنك آثامها فى شعرها وروايتها) وفيه أنه قال له بعد إنشاد القصيدة (ياحسان لا تعد تنشدنى هذه القصيدة فإنى ذكرت عند قيصر وعنده أبو سفيان وعلقمة بن علاثة فأما أبو سفيان فتناول منى وأما علقمة فحسن القول وأنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ تتمة الاجتماع الرابع لجمعية أم القرى ﴾

ثم إذا انقلبنا فى البحث إلى ماهو الشرك فى نظر القرآن وأهله لنتقيه نجد أن الله تعالى قال فى اليهود والنصارى « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » مع أنه لم يوجد من قبل ولا من بعد من الأحبار والرهبان من ادعى المماثلة ونازع الله الخالقية أو الإحياء أو الإماتة كما يقتضيه انحصار معنى الربوبية عند العامة من الاسلام ، حسبما تلقوه من مروجى الشرك بالتأويل والايهام ، بل الأحبار والرهبان إنما شاركوا الله تعالى فى التشريع المقدس فقط فقالوا هذا حلال وهذا حرام فقبل منهم أتباعهم ذلك فوصفهم الله بأنهم اتخذوهم أرباباً من دون الله

ونجد أيضاً أن الله تعالى سمى قريشاً مشركين مع أنه وصفهم بقوله « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » أى يخصصون الخالقية بالله . ووصف توسلهم بالأصنام إلى الله بالعبادة فحكى عنهم قوله « ماعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » والمعظمة من المسلمين يظنون أن هذه الدرجة التى هى التوسل ليست من العبادة ولا الشرك ويسمون المتوسل بهم وسائط ويقولون إنه لابد من الواسطة بين العبد والرب « وإن الواسطة لاتنكر »

ويعلم من ذلك أن مشركى قريش ماعبدوا أصنامهم لذاتها ولا لاعتقادهم فيها الخالقية والتدبير بل اتخذوها قبلة يعظمونها بندائها والسجود أمامها أو ذبح القرابين عندها أو النذر لها على أنها تماثيل رجال صالحين كان لهم قرب من الله تعالى وشفاعة عنده فيحبون هذه الأعمال الاحترامية منهم فينفعونهم بشفاء مريض أو اغناء فقير وغير ذلك وإذا حلفوا بأسمائهم كذباً أو اخلوا فى احترام تماثيلهم يغضبون فيضرونهم فى أنفسهم وأولادهم وأموالهم

ونجد أن الله تعالى قال « فلا تدعوا مع الله أحداً » وأصل معنى الدعاء النداء ودعا الله ابتهل إليه بالسؤال واستعان به والدليل الكاشف لهذا المعنى هو قوله تعالى « بل إياه تدعون فيكشف ماتدعون » وكذلك أنزل الاستعانة به مقرونة بعبادته فى قوله جلت كلمته « إياك نعبد وإياك نستعين »

وبما ذكر وغيره من الآيات البينات جعل الله هذه الأعمال لقريش شركاً به حتى صرح النبى صلى الله عليه وسلم فى الحلف بغير الله أنه شرك فقال «من حلف بغير

www.alukah.net إحياء من شبكة الألوكة

الله فقد كفر وأشرك »[1] وحمل الله القربان لغيره والاهلال والذبح على الانصاب شركا وحرم تسييب السوائب والبحائر لما فيها من ذلك المعنى وكان المشركون يحجون لغير بيت الله بقصد زيارة محلات لأصنامهم يتوهمون ان الحلول فيها يكون تقرباً من الأصنام فنهى النبي عليه الصلاة والسلام أمته عن مثل ذلك فقال « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى[2] » فلا ريب إذن أن هذه الاعمال وأمثالها شرك أو مدرجة للشرك (مرحى)

فلينظر الآن هل فى الإسلام شيء من هذه الاعمال وأشباهها فى الصورة أو الحكم من لا أسنده فى الله توبة لأنه لايرى بداً من التصريح بأن حالة السواد الاعظم من أهل القبلة فى غير جزيرة العرب تشبه حالة المشركين من كل الوجوه وان الدين عندهم عاد غريبا كما بدا كشأن غيرهم من الأمم . فمنهم الذين استبدلوا بدين الله دين القبور فنصبوا عليها المشاهد والمشاهد وأسرجوا لهـا السرج وأرخوا عليها الستور يطوفون حولهـا مقبلين مستلمين أركانها ويهتفون بأسماء سكانها فى الشدائد ويدعونهم عند الكربات بل يدعونهم عمداً لله ويندرون لهـا النذور ويشدون الرحال إليهـا ويعلقون بأركانها الآمال يستنزلون الرحمة بذكرهم وعند قبورهم وأحيائهم بالخاشع والخضوع والخشوع أن يتوسطوا لهم فى قضاء الحاجات وقبول الدعوات وكل ذلك من الحساب والتعظيم لغير الله[3] والخوف والرجاء من سواه

ومنهم من اتخذوا من أفراخ التماثيل عند النصارى والمشركين بألواح فيهـا أسماء معظميهم من الأحياء والاموات تبركا وذكراً ودعاءً يعلقونها على الجدران فى بيوتهم بل فى مساجدهم أيضا[4] ويتوجون بها الأعلام من نحو « يا على ، يا شاذلى ، يادسوقى ، يا بدوى ، يا بهاء الدين النقشى ، ياجلال الدين الرومى ، يا بكتاش ولى »

ومنهم من يجتمعون لأجل العبادة بذكر الله ذكراً مشوباً بإنشاء المدائح لغلاة شعراء المتأخرين التى أهون ما فيها الإطراء الذى نهانا عنه النبي عليه الصلاة والسلام

---

(١) المنار — الحديث رواه الترمذى وحسنه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما (٢) رواه أحمد والشيخان عن أبى هريرة ورواه عن أبى سعيد ورواه أصحاب السنن وغيرهم (٣) أى من عبادة غيره (٤) كجوامع القسطنطينية وبلاد الترك . كذا فى هامش الأصل ومثل بلاد الترك كثير من بلاد المسلمين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حتى لنفسه الشريفة فقال « لا تطرونى كما أطرت اليهود والنصارى أنبياءهم (١) » وبإنشادهم مقامات شيوخية تغالوا فيها فى الاستغاثة بشيوخهم والاستمداد منهم بصيغ لو سمعها مشركو قريش لكفروهم لأن أبلغ صيغة تلبية كانت لمشركى قريش قولهم « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك غير شريك واحد تملكه وما ملك (٢) » وهذه أخف شركا من المقامات الشيوخية التى يهدرون بها إنشاداً بأصوات عالية مجتمعة وقلوب محترقة خاشعة كقولهم

عبد القادر يا جيلانى ياذا الفضل والإحسان
صرت فى خطب شديد من إساءتك لا تنسانى

وقولهم

الآهم يا رفاعى لى أنا المحسوب أنا المنسوب
رفاعى لا تضيعى أنا المحسوب أنا المنسوب

إلى غير ذلك مما لا يشك فيه شاك أنه من صريح الإشراك الذى يأباه الدين الحنيف

ومنهم جماعة لم يرضوا بالشرع المبين فابتدعوا أحكاماً فى الدين سموها علم الباطن أو علم الحقيقة أو علم التصوف ، علماً لم يعرف شيئاً منه الصحابة والتابعون وأهل القرون الأولى المشهود لهم بالفضل فى الدين . علماً انتزعوا مسائله من تأويلات المتشابه من القرآن مع ان الله تعالى أمرنا أن نقول فى المتشابه منه (آمنا به كل من عند ربنا) وقال تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) وقال عز شأنه فى حقهم (وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) وقال تعالى (فاستقم كما أمرت) وقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة) وانتزع هؤلاء المداجون أيضاً بعض تلك المزيدات من مشكلات الأحاديث والآثار .

ومما جاء عن النبى عليه السلام من قول على سبيل الحكاية أو عمل على سبيل العادة أى لم يكن ذلك منه عليه السلام على سبيل التشريع . أو من الأحاديث التى وضعها أساطينهم أغراباً فى الدين لأجل جذب القلوب كهذا الحديث الذى ننقله بالمعنى وهو (يفتح بالقرآن على الناس حتى يقرأه المرأة والصبى والرجل فيقول الرجل

---

(١) لفظ الحديث « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم انما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله » رواه البخارى والترمذى فى الشمايل ولا أذكر نصها الآن (٢) ينقل عنهم « الا شريكا هو لك تملكه وما ملك »

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قد قرأت القرآن فلم أتبع لأتومن بهم فيه لعلى اتبع فيقوم به فيهم فلا يتبع فيقول قد قرأت القرآن وقمت به فلم اتبع لأحتظرن من بيتي مسجدا لعلى اتبع فيحتظر من بيته مسجدا فلايتبع فيقول قد قرأت القرآن وقمت به واحتظرت من بيتي مسجدا فلم اتبع والله لآتينهم بحديث لا يجدونه في كتاب الله ولم يسمعوه عن رسول الله لعلي اتبع »

ومنهم فئة اخترعوا عبادات وقربات لم يأت بها الإسلام ولا عهد له بها إلى أواخر القرن الرابع فكان الله تعالى ترك ديننا ناقصاً فهم أكملوه ، أو كأن الله جل شأنه لم ينزل يوم حجة الوداع « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » أو كأن النبي عليه السلام لم يتمم كما يزعمون تبليغ رسالته فهم أتموها لنا أو كتم شيئاً من الدين وأسر به إلى بعض أصحابه وهم أبوبكر وعلي وبلال رضي الله عنهم وهؤلاء أسروا به إلى غيرهم وهكذا تسلسل حتى وصل إليهم فأفشوه لمن أرادوا من المؤمنين تعالى الله ورسوله عما يأفكون . أليس من الكفر بإجماع الأمة اعتقاد أن النبي عليه السلام نقص التبليغ أو كتم أو أسر شيئاً من الدين (مرحى)

ومنهم جماعة اتخذوا دين الله لهوا ولعبا فجعلوا منه التغني والرقص ونقر الدفوف ودق الطبول ولبس الأخضر والأحمر واللعب بالنار والسلاح والعقارب والحيات يخدعون بذلك السفهاء ويسرهبون الحمقى

ومنهم قوم يعتبرون البلادة صلاحاً والخبل خشوعاً والصرع وصولا والهذيان عرفانا والجنون منتهى المراتب السبع للكمال

ومنهم خلفاء كهنة العرب يدعون علم الغيب بالاستخراج من الجفر والرمل أو أحكام النجوم أو الروحاني أو الزايرجه أو الأبجديات أو بالنظر في الماء أو السمك أو الودع أو باستخدام الجن والمردة إلى غير ذلك من صنائع التدليس والإيهام والخزعبلات وليس العجب انتشار ذلك بين العامة الذين كالأنعام في كل الأمم والأقوام بل العجب دخول بعضه على كثير من الخواص وقليل من العلماء كأنه من عزيز الكمالات في دين الإسلام « مرحى »

فهذه حالات السواد الأعظم من الأمة وكلها إما شرك صراح أو مظنات إشراك حكمها في الحكمة الدينية حكم الشرك بلا إشكال وما جر الأمة إلى هذه الحالات

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجاهلية وبالتعبير الاصح رجع بها إلى الشرك الأول الا الميل الطبيعى للشرك كما سبق بيانه مع قلة علماء الدين وتهاون الموجودين فى الهدى والارشاد

نعم إن رد العامة عن ميلها أمر غير هين وقد شبه النبى عليه السلام معاناته الناس فيه بقوله « مثلى كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التى تقع فى النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فانا آخذ فى حجزكم عن النار وأنتم تقحمون فيها » (١) وقد قال الله تعالى فى العلماء المتهاونين عن الإرشاد كيلا يقابلوا الناس بما لايهوون « ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار » وقال الرسول عليه الصلاة والسلام « لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » (٢) فالتبعة كل التبعة على العلماء الراشدين ولم يزل والحمد لله فى القوس منزع ولم يستغرقنا بعد انتزاع العلماء بالكلية كما أنذرنا به النبى عليه السلام فى قوله « إن الله لايقبض العلم انتزاعاً من الناس ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهلاء فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » (٣) ولا حول ولا قوة إلا بالله

ثم قال : ولننتقل من بحث الشرك والإعراض عن ذكر الله إلى بيان أسباب التشديد فى الدين وحالة التشويش الواقع فيه المسلمون فأقول

---

(١) الحديث رواه أحمد ومسلم عن جابر بلفظ « مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها وهو يذبهن عنها . وأنا آخذ بحجزكم من النار وأنتم تفلتون من يدى » (٢) رواه الترمذى وقال حسن غريب (٣) رواه الشيخان وأصحاب السنن ما عدا أبا داود عن عبد الله عمرو ولفظ مسلم « ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » وفى البخارى « من العباد » بدل « من الناس » وقال « حتى إذا يبق عالم » كما هنا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

باب التربية والتعليم

(*) الدرة الخامسة من جريدة الراسم

الخط الديوانى

انشأ « أميل » يخط بالقلم خطاً مناسباً لحاله ولكنى فى شك من جريه على قواعد الخط فى شىء مما يكتب

كان الخط فيما مضى كأنه من صفات الكاتب الذاتية وكان يدل على حالة من أحواله سواء فيه الحسن والقبيح ولذلك وجد متوسمون يعتقدون انهم يقرأون فى خط من لا يعرفونه من الناس ضروب استعداده النفسى ولا بدع فى هذا فان كل أعمال الإنسان منبعثة عن أخلاقه وسجاياه فلا شىء من الاستحالة ولا من البعد عن الحقيقة على ما أرى فى أن يكون الخط وهو الأثر الدقيق المثبت لصنوف الوجدان وأنواع المعانى على الورق سمة من سمات النفس وأمارة من أمارات الطبع . يشهد لذلك ان من الدين خطوطهم بين أيدينا قد غيروا فى حياتهم طريقتهم فى صوغ حروفهم عدة مرات فلا يمكن أن يكون هذا التغير الذى يحق لنا المراهنة على حصوله بغير شعور منهم أجنبياً عن بعض استحالات حصلت فى عقولهم . ومن الأمور التى يعتقد الباحثون فى هذه المسألة انهم تنبهوا إليها ولاحظوها ان أقرب أطوار الكاتب إلى الفطرة هو ذلك الطور الذى يكون فيه خطه موسوما باقرب السمات إليها أيضاً

اخترع الناس فى هذه الأيام للخط طرقاً لاشك ان لها مزية فى تهذيبه وتقويم يد الكاتب ولكنها متى انتشرت وعم استعمالها اتحدت الخطوط وتشابهت فلم يبق بينها فروق تميز بعضها من بعض فنحن فى هذا القرن قرن السكك الحديدية والاقلام الحديدية نسارع كلنا إلى تحقيق الوحدة فى كل شىء

لو ان هذا الميل إلى الصناعة اقتصر على أمارات الفكر وقوالب المعانى لكان الخطب هيناً ولكنه لم يقف عندها بل تعداها إلى الفكر نفسه

أنا على يقين من وفرة علومنا ومعارفنا فليست هى التى تعوزنا إذ قد وجدت

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب أميل القرن التاسع عشر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

طرق سهلة صيرت مبادئ العلم وآداب اللغة والفنون الجميلة قريبة التناول لجميع الناس وكل يوم يبعث الناس بانتشار أنوار العرفان بيننا وهو أمر لا يبعد عن المنازعة في جلالة خطره وعظم شأنه ولكني لا أرى على حرجاً ان سألت نفسي هذه الاسئلة وهي : هل ارتفع عقل الإنسان في هذا القرن إلى مدارك اسمى مما بلغه في القرن الثامن عشر ؟ هل حصل له من قوة النفس والانبعاث الذاتي إلى العمل والأخلاق الممتازة التي تتجلى في صورة مجتمعة المظلمة والأعمال البديعة أكثر مما كان له في ذلك القرن ؟ هل ارتفعت قوة الإدراك مع انتشار تساوي الناس فيها كل يوم ؟

وأسفي أني التفت حولي فيعروني الذهول وتمتلكني الدهشة لما أراه من غلبة الاوساط في العقل وكثرتهم وأسمع الناس يرددون القول بأن العقل والاستعداد قد شاعا في هذه الأيام حتى عما السابقة بالفوقاء ولو بهم قالوا ان كل واحد أصبح فيه عقل غيره واستعداده لكان هذا القول أصح وأقرب إلى الصواب . نعم ان قرننا قد وصل بنا طريقة بديعة في الاكثار من الدواليب والآلات المحاكية للفكر وقامت المهارة في الفنون مقام الاستعداد الفطري والعزعة وأزهق التكلف في آداب اللغة روح الالهام والبداهة واستأثرت الدسيسة والخداع في مجرى الحياة وشئونها الفضل والجدارة عن مرشحها وحلا محلهما فنرانا الآن منحدرين على طريق مستقيم عام إلى محو الشعور الفضل والترجمان في العقل والخلق محوا تاماً فعليك أيها الانسان من الآن أن تسع بأن تكون كجميع الناس .

ولا شك ان هذه الحالة التي عليها العقول الآن ترجع إلى أسباب كثيرة ليس من غرضي الاستقراء فيها منها نظام معيشتنا وفقدان الحرية السياسية عندنا واهتمامنا المزايد بالمسائل المادية ومنها أمر لا يسعني اغفاله والا استحققت اللوم وهو ان التربية بالحالة التي هي عليها اليوم أقرب إلى ستر عيوب الأطفال واخفاء مواضع الضعف فيهم بعض طرق التعليم السريعة التي تعد تكون آلة محضة . أقول انها أقرب إلى ذلك منها إلى قصد اكتشاف ملكاتهم وعواهم الفطرية وتنميتها فترى القائمين على التعليم سواء كان بيتيهم ان الغرض من جاهدتهم وكدحهم في التعلم انما هو نيل الفخر بأن يكونوا عمالا معين يعملون عليه الارتقاء إلى المناصب ونيل الغنى ويمتقتون منهم أن يلغوا فيها وهم بذلك يكررون بحمل الاحداث على أن يتبينوا ان المواضعة والصنعة هما أقرب طرق النجاح وأحسن وسائل الفلاح . اهـ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

النزهة السادسة

﴿ مذهب تشغيل المتعلمين بالأعمال المادية الشاقة ﴾

توجد فى بعض المدارس بانكلترا عادة قديمة يدهش منها الأجانب كثيراً ذلك أن التلامذة — فما يوجد منها بمدينتى راتون وهارو وهى التى يدخلها أبناء السراة غالباً — يخدم بعضهم بعضاً وليس أمر الخادمية والمخدومية فيها متعلقاً بمكانة التلميذ فى قومه ولا بغنى أهله أو فقرهم بل بالأقدمية وبعض الدرجات المدرسية فيجوز أن يلزم الطفل الغنى السرى بتنفيض ثياب الطفل الفقير الوضيع وتأدية مطالبه وتنظيف غرفته وإيقاد ناره وتسوية طعامه وحمل كتبه إليه فى قاعة الدرس فيقع الإلزام بالخدمة على من تجعلهم المدرسة فى الدرجات الدنيا من أقسامها .

والذى استهجنه من هذه العادة هو ما يكون بين التلميذين الخادم والمخدوم من رابطة التابعية الذاتية فان الأقدمين من التلامذة يسيرون أحياناً مع من يعتبرونهم خدماً لهم من إخوانهم سيرة فى غاية القسوة حتى إنه ليقع منهم فى حقهم ما نقرأه فى قصص موليير [1] المضحكة من الشتائم وضربات الأكف وجميع ضروب سوء المعاملة التى كانت تقع من صغار الموالى على خدمهم بأرجلهم وأيديهم الخفيفة الحركة ، أولئك الخدم الصغار الذين كانوا بالأمس أرقاء صبراً على الذل مستسلمين للجور يصيرون فى الغد سادة قساة متجبرين وهكذا شأن الدنيا وبمثل هذا تتنقل جميع أنواع العتو والطغيان من سلف إلى خلف .

لا أرى فيما عدا هذا العيب شيئاً فى هذه الطريقة فانه لا ضرر مطلقاً فى أن يقوم بخدمة المدرسة التلامذة أنفسهم . ولقد عرفت فيما مضى مدرسة كان يديرها رجل وافر العقل عالى الفكر اختار هذا المذهب وتيسر له أن يجنى منه فوائد كبرى فى تربية الناشئين ذلك أنه عهد بمعظم أعمال مدرسته إلى جماعات من الغلمان واليافعين منقسمين إلى طوائف على حسب مقتضيات أذواقهم وضروب ميلهم الفطرى لأنهم كانوا فى هذه الأعمال مختارين متطوعين فكان الواحد منهم إما لياداً أو كناساً أو وقاداً للمصابيح أو موقظاً لاخوانه فى الصباح أو منظماً لقاعة الدرس وكانوا يتناوبون خدمة

---

(١) موليير هو أكبر واحد شاعر قصصى فرنساوى ولد فى باريس سنة ١٦٢٢ ومات فى سنة ١٦٧٣ مسيحية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

للمائدة وكانت الأعمال المسخرة التى تقتضى أكثر من غيرها إخلاصاً أجل من غيرها أيضاً فى نظر التلامذة لأن رئيس المدرسة كان يتظاهر بتميزها عن غيرها بما كان يوزعه من شارات الشرف على من كان يدعوهم إقدامهم إلى مباشرتها . ولبثت زرت هذا المكان حتى كنت تشاهد مقدار التحمس الفرح الذى يبديه كل تلميذ فى القيام بعمله الذى كأنه فرض اختيارى أوجبه على نفسه . كان من مزايا هذه الخدمة البيتية للتلامذة أنها كانت تسلية لهم من عناء الدروس لأنه كان من رأى رئيسهم أن فى المراوحة بين الأعمال استراحة من مشقتها وكان من غرضه فوق ذلك أن يلقى فى نفوسهم معنى احترام جميع الوظائف وكل فروع العمل اليدوى فان الانسان لا يحتقر من غيره ما يباشره هو بنفسه .

إنى لتعرض لى فى بعض الأحيان أحوال تحملنى على اعتقاد أن ماندعيه من حب المساواة ليس إلا رياء ونفاقاً لأنى أرى من لاتفتر ألسنتهم عن اللهج بهذه الدعوى لايجرون على مقتضاها فى أعمالهم فالطفل الذى يرى فى المدارس أو البيوت أناساً استؤجروا لخدمته يستنتج من ذلك طبعاً أن الأعمال الشاقة أو الكريهة هى من حظ الطبقة السفلى من قومه ولا يفيده فى محو هذا الاعتقاد من نفسه أن تحدثه فى المستقبل عن ضرورة تقسيم العمل بين الناس أو عن غير ذلك من المسائل النظرية الكثيرة فانه يعلم كمال العلم أن ليس للخدم أن يأكلوا على موائد سادتهم ولما كان يتوهم فى والديه أنهما يعدانه لأن يكون من السادة ويكفيانه بذلك مؤنة الاشتغال ببعض الأعمال التى من شأنها أن توسخ يديه أو تقذر وجهه . كان رأيه فى هذه الأعمال لابد أن يئول إلى من يقارفونها من الناس فيحكم عليهم بحكمه عليها وبذلك لا يكون إلا كثير الانسياق إلى احتقار جميع الصناع والرزاية عليهم .

صممت أنا وهيلانه على تكليف «أميل» بعمل كل مايلزم لفراشه وهجرته وثيابه ولا أكره مطلقاً أن أراه يمسح نعليه ويسوى عند الحاجة طعامه فان الفائدة التى تعود عليه من ذلك ليست قاصرة على كونه يتعلم عدم امتهان من يكسبون قوتهم بمثل هذه الأعمال بل إنى فيه أيضاً تنمية لحريته الشخصية بتعويده على الاستغناء عن مساعدة غيره فالأسير المسكين من يعجز عن خدمة نفسه . اهـ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الاحتفال السنوى بمدرسة الجمعية الخيرية وخطبة المفتى

فى أصيل يوم الجمعة ٢١ ربيع الأول احتفل فى قبة الغورى الاحتفال السنوى المعتاد بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية فى القاهرة وقد أجاب دعوة رئيس الجمعية الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية الجم الغفير من الفضلاء والوجهاء خصوا الاحتفال : ابتداء أحد التلامذة بترتيل آيات من سورة الفتح ثم ارتقى أحد التلامذة الدكة التى يختبر عليها التلامذة فاعطى كتاباً ففتحه وقرأ فيه جملة صالحة قراءة صحيحة فسأله الرئيس بيان معناها فبينه : ثم اختبر آخرون بالاعراب وبالحساب وبرسم خريطة أفريقيا وبالتاريخ الطبيعى كحكاية الدورة الدموية وقرأ بعضهم مقالات محفوظة فى فوائد الصوم وفوائد التربية وغير ذلك فأحسنوا جميعاً وصفق لهم النادى مرات متعددة . وأنكر الأستاذ الشنقيطى التصفيق على القوم أنه بدعة فتركه بعضهم وأصر عليه الاكثرون لأن بعضهم يراه من العادات الباحة التى اقترن بها تنشيط التلامذة وادخال السرور على قلوبهم وبعضهم لم يصل إليه الانكار . وكان لرئيس كعادته يناقش كل تلميذ فيما يقول ويطلب منه التعبير عما قاله حفظاً بعبارة اعرفية . ثم وزع الجوائز وهى على ماذكرنا فى السنة الماضية فكان أحدها ريع المال الذى جمع لاقامة تذكار لعلى باشا مبارك لخدمته المعارف فى مصر والثانية تبرع الأستاذ الشيخ عبد الرحيم الدمرداش فهذا وزع على نفر من الناجحين فى المدرسة . وأما الأول فاستقر الرأى على أن يشترى به كل عام كتب نافعة تعطى للتلميذين اللذين يفوقان سائر التلامذة ممن أتموا المدة بشرط أن يشتغلا بعد المدرسة بتعلم صنعة من الصنائع وكذلك كان . وبعد ختم الاحتفال بترتيل أحد التلامذة آيات من الكتاب العزيز وقف رئيس الجمعية فشكر للحاضرين سعيهم فى الخير لمشاهدة أولاد الفقراء المتعلمين ثم قال مامعناه ملخصاً :

لابد أن يكون بعض الحاضرين ممن يشتغلون بعلم التربية ينتقد علينا شيئاً انا أواقفهم على انتقاده قبل أن أذكره وأجيب عنه وهو أن يحفظ التلامذة مقالات فى الدين والآداب كالذى سمع منهم الآن فيها من الحكم والمعانى العالية مالا ترتقى عقولهم إلى الاحاطة به وماتعجز ألسنتهم عن بيانه بغير العبارة المحفوظة . أعيد القول بأن هذا الانتقاد صحيح وأن حشو الاذهان بحفظ مالا يفهم يفسدها ويذهب باستعداد العلم منها . ومدارس الجمعية تهتم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بهذا الأمر فنحن نؤكد دائماً على المعلمين أن لا يملوا التلامذة كلاماً لا يفهمونه والعمل على هذا والتفتيش من ورائه لتحقيقه

وأما ما سمعتم فقد جاء من باب الاستثناء لغرض صحيح يوافقنا عليه المتقدمون بادى الرأى . ذلك ان التلميذ يخرج من مدرستنا إلى العمل غالباً ولا ثقة لنا بأنه يسمع فى خطب المساجد ولا فى دروسها شيئاً من حكم الدين وأسراره التى تبعث النفوس على العمل بأحكامه كالذى سمعتم من حكم الصوم . وكذلك لا نرجو أن يجد معهداً من معاهد العلم يسمع فيه شيئاً من مباحث التربية وعلم الاجتماع والآداب العالية بالأولى فرأينا أن يحفظ كل تلميذ بعض مقالات فى هذه المقاصد يجتهد فى إفهامه معانيها بالجملة كما يقتضيه سنه ويوكل الفهم التفصيلى إلى حوادث الزمان وارتقاء الفكر فيها فهذه المحفوظات القليلة المفيدة ذخر للتلميذ فى مستقبله وهى كبذرة وضعت فى أرض صالحة يتعاهدها الزمان بالسقى والتعهدية حتى تثمر الثمرة الصالحة إن شاء الله تعالى

إذا أجلتم النظر فى أحوال المسلمين ترون ان ترك تعلم الدين على هذا الوجه من بيان فوائده وحكمه وغرسها فى النفوس (وهو الفقه الحقيقى فى الدين) قد أدى إلى تركه من بعض المسلمين والاتيان به على غير وجهه من بعض آخر . واضرب المثل بفريضة الزكاة التى حفظ تلامذتنا مقالة فى فوائدها فى العام الماضى كما يذكر من حضر احتفاله وفريضة الصوم التى سمعتم فوائدها وهى التى تلى الزكاة فى الترتيب

الزكاة ركن من أركان الإسلام وبذل المال فى إقامة هذا الركن يفضل غيره من أنواع البذل ولذلك قرنت الزكاة بالصلاة فى القرآن فى أكثر المواضع وقد جعل الله انفاق المال فى سبيله آية الإيمان . وجعل تركه علامة النفاق والكفران . وقاتل الخليفة الأول بموافقة الصحابة كلهم رضى الله عنهم مانعى الزكاة . ومع هذا كله نرى المسلمين قد هدموا هذا الركن ونسوه حتى كأنه ليس من الدين بالبتة . وأطال الأستاذ الكلام فى الزكاة وفى مضرة تركها ثم انتقل إلى الصوم وبين أن بعض المسلمين تركوه وان الذين يصومون لا يؤدون هذه الفريضة على الوجه الذى أراده تعالى بقوله « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » وأوضح هذا بذكر ما عليه الناس . ثم انتقل إلى الكلام فى تعليم مدارس الجمعية فقال

ان مدارس الجمعية وضعت لتعليم أولاد الفقراء ما لابد منه لكل إنسان وهو أن يحسن القراءة بلغة أمته ويعرف ما يجب عليه من أحكام دينه ويترقى عليه عملا والحساب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والتاريخ وتقويم البلدان وطرفا من مبادئ التاريخ الطبيعي وحفظ الصحة وأدب المعاشرة . ولا بد عندنا من تعليم هذه الأشياء على وجه مفهوم في أربع سنين وسن التلميذ لايتجاوز الخمس عشرة سنة . وليس عندنا لغة أجنبية لأننا لا نعد التلامذة للوظائف والشهادات وإنما نعدهم للعمل بالحرف والصنائع وما ذكرنا من التعليم لا يستغنى عنه صانع ولا زارع

قال : كنت أحب أن يكون هذا التعليم عاما في البلاد ومنبثا في جميع الطبقات ثم يتسنى بعده لكل طبقة أن تتناول من العلوم والفنون واللغات في المدارس الثانوية والعالية ما هي مستعدة له . ولكن المانع للمشتغلين بالتعليم والتعلم من التوجه إلى سلوك هذه الطريقة أمران — أحدهما أن رغبة الناس منصرفة إلى جعل التعليم ذريعة لأخذ الشهادة لأنها شرط الاستخدام في الحكومة والسبب في رغبة الناس في خدمة الحكومة هو ان الناس لعدم ثقتهم بأنفسهم ولجهلهم بطرق الكسب الواسعة وضعف همتهم عن سلوكها يود كل واحد منهم أن يكون له مورد من الرزق مضمون يعتمد عليه وان كان وشلا آمناً فإذا استخدم بمائة وخمسين قرشاً ولو في أعلى الصعيد أو السودان ينام آمناً مطمئناً ويلقي هم الدنيا وراء ظهره الا إذا تيسر له السعي في شفاعة تزيد في راتبه أو ينتقل بها إلى مكان غير مكانه ولو استعمل مواهبه التي منحه الله إياها وكدح في طلب الرزق من طرقه الواسعة لاسيما التجارة لجاز أن يكون من أهل الثراء الواسع وشنع الحسيب ما شاء . أصحاب هذه النفوس الخاملة الصغيرة ثم انتقل إلى بيان السبب الآخر في عدم التوجه إلى التعليم النافع فقال :

أما ثاني السببين فدواؤه اقل ، وعلاجه أعسر ، أتدرون ما هو ؟ هو المعلمين والمربين فانا نحتاج في التعليم الابتدائي إلى من يبدئ التلميذ في السنة الأولى بألف با فلا تنتهي السنة الرابعة إلا وهو يقرأ ويكتب ويعرف ما ذكرناه آنفاً وعرض عليكم نموذجيه . والذين يحسنون هذا النوع من التعليم قليلون . وقد عزمنا على تجديد مدرسة للجمعية ولكننا عند المذاكرة فيما كنا نشكو من قلة المعلمين . إننا نحتاج معلماً لاحدى مدارسنا فنعلن ذلك الجرائد فيجيئنا الراغبون بالعشرات فنمتحنهم ونختار من نراه الأمثل وان لم يكن على حسب الرغبة تماماً ثم يتمرن على طريقتنا في المدرسة مع طول التنبيه والتفتيش ومثل هؤلاء يجدر بنا أن نسميهم

معلمي الضرورة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال : ذكرت هذا لأوجه نفوس العلماء والوجهاء إلى تلافي هذا الخطب ومداواة هذه العلة التي هي أم العلل وذلك بإنشاء مدرسة لتخريج المعلمين ولا بد في هذا من سعي العلماء ومساعدة الأغنياء . ثم شكر للحاضرين سعيهم فانصرفوا شاكرين . أقول كتبت بعد أيام من الاحتفال في إثر انحراف في الصحة فان نقصت من فوائد الخطاب ففي غير الفوائد الأصلية وان زدت فربما كان كلة في معنى الكلام تزيد في ايضاحه

﴿ باب الأخبار والآراء ﴾

(تتمة سيرة الكواكبي)

وكان أول عمل عمله في إدارة مجلس البلدية هو قطع عرق الرشوة من العمال الذين يباشرون الأعمال والمصالح ويسمون (الجاويشية) ولكنه زاد في راتبهم لعلمه بأن الذي يضطر أكثر العمال إلى الرشوة هو قلة الراتب . وكان من ظلم الوالي بعد عزل الفقيد من رياسة البلدية ان أرجع راتب الجاويشية كما كان وألزم صاحب الترجمة بدفع ما كان زاده لهم في مدته إلى صندوق البلدية كما ألزمه بدفع ما أنفق على سلاسل الحديد التي منع بها الجمال من طرق المدينة لأن الوالي أمر بإزالتها عقيب عزله ثم عاد فأمر بإعادتها بعد زمن قريب ولكنه لم يعد إلى الفقيد الغرامة التي ظلمه بها

ولما عين رئيساً لكتاب المحكمة الشرعية كانت المحكمة في أسوإ الأحوال في الصورة والمعنى فكان ينفق على إصلاحها من جيبه حتى انه استحضر لها السجوف والاستار من بيته ومنع اختلاط النساء بالرجال إذ جعل لكل مكانا ينتظر فيه دوره للتقاضي ورتب الأوقات ونظم الدفاتر . . .

وكان صاحب عزيمة قوية لا يهاب حاكما ولا يخاف ظالما وعزيمته هي التي جنت عليه فقد كان نجح في عمله عند ما عين مديراً ومفتشاً لمصلحة حصر الدخان كما تقدم في السيرة الرسمية حتى وقع النزاع بينه وبين عارف باشا والي حلب يومئذ فبطل العمل عمل الفقيد في ضبط هذه المصلحة ما عجزت عنه إدارتها العمومية والحكومة جميعاً حتى كانت تخسر في ولاية حلب دون سائر بلاد الدولة . وكان المشتغلون بتهريب الدخان البلدي وبيعه في حلب سبعمائة رجل فعين لهم رواتب شهرية ومنعهم من التهريب بحكمة عجيبة وسيأتي مجمل خبره في عداد الوالي عند الكلام على بعض العقوبات التي نفيها في طريقه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كانت مدة الاتفاق الأول مع مصلحة حصر الدخان ثلاث سنين فانفصل من إدارة العمل والتفتيش بعد سنتين بالسبب الذي ألمعنا إليه ولثقة الفقيد بنفسه واقتداره على العمل ذهب إلى الاستانة بعد عزل عارف باشا من ولاية حلب فعقد اتفاقاً آخر مع المصلحة والحكومة مدته عشر سنين وكان أراد أن يضم إلى ولاية حلب ومتصرفية الزور ولايتي بيروت وسورية فلم يرض له ذلك من استشاره من الأقربين فرجع عنه . وقد نجح أيضاً في المرة الثانية ولكن حدثت بعد أربع سنين الفتنة الأرمنية فنهب الأرمن الدخان من عدة بلاد وقتلوا موظفي المصلحة فكان الفقيد يخسر في الشهر بضعة عشر ألفاً من الليرات فتوسل بذلك إلى الاستانة بحل العقد وإبطال الاتفاق فتم له ذلك بعد عناء وخسارة عظيمة

ولإخلاصه بحب المصلحة العامة كانت أكثر وظائفه فخرية أي بغير راتب كما عرف من الترجمة الرسمية ونزيد على هذا أنه كان يبذل شيئاً من ماله فوق ما يأخذه من راتب بعض الوظائف لأجل ترقية العمل وإتقانه وهذا خلق لم يعرفه الشرق في هذا العصر

مشروعاته : طلب من الحكومة عدة امتيازات بأعمال عظيمة لم تكن تخطر لأهل بلاده على بال . (منها) إنشاء مرفأ في السويدية وطريق حديدي منها إلى حلب . و (منها) جلب نهر الساجور إلى حلب لأن ماء المدينة قليل ولو تم هذا العمل لأحيت به أرض واسعة فكانت جنات وحدائق . (ومنها) أن عينا خوارة في سفح جبل بين أرمناز وأدلب قد أغرقت أمواهها تلك الأرض فجعلتها مستنقعات تضر الناس ولا يأوي إلى غاباتها إلا الخنزير البري فذهب الفقيد إليها واختبر حال الأرض والعين اختباراً هندسياً زراعياً فعلم أنه يمكن جر مائها إلى أدلب القليلة الماء وتجفيف تلك المستنقعات فتصير نافعة وتحيا أرض أدلب ويحيا أهلها فطلب بذلك امتيازاً .

و (منها) إنارة حلب وبيره جك ومرعش واورفه بالكهربائية بواسطة شلال يحدثه من نهر العاصي في محل اسمه المضيق بالقرب من دركوش تابع لجسر الشغر وكان اختبر المكان اختباراً هندسيا فعلم أن أحداث الشلال فيه ممكن . (ومنها) استخراج معدن نحاس من أرغنه التابعة لولاية حلب . وقد حال دون إعطاء بعض هذه الامتيازات ما يحول دون كل مصلحة عامة يطلبها الوطنيون كالرشوة ونحوها . وقد كان أعطي امتياز استخراج النحاس واشتغل به ثلاث سنين ونيف وبعد ذلك أرادت حكومة الولاية إبطاله لأمر ما فدخلت مع الفقيد في العمل بعض الأجانب وتوسلت بذلك إلى إبطاله

خدمته للناس وللحكومة : كان اتخذ له مكاناً بين داره ودار الحكومة سماه المركز

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يأوون إليه وكلاء الدعاوى البارعون فكان يؤمه أصحاب الحاجات والقضايا يستشيرون صاحب الترجمة فى حل عقد المشكلات ، ويستضيئون برأيه فى دياجير المهمات ، وكان فى الغالب يفصل بينهم بالتراضى ، ويغنيهم عن المحاكمة والتقاضى ، فان احتيج فى قضية إلى الحكومة يندب لها من يراه أهلا لها من الوكلاء المحامين وإن كانت عظيمة الشأن يندب نفسه ويحاكم المبطل حتى يحق الحق لصاحبه . وقد كان قصاد ذلك المركز يكادون يزيدون على قصاد دار الحكومة . وكانت الحكومة نفسها تستشيره فى الشئون الغامضة وتعتمد على رأيه

مقاومة الحكام له : ورث الفقيد عن سلفه السادة الأمراء علو الهمة وقوة العزيمة وعدم المبالاة بالأخطار فهو من سلالة السيد ابراهيم الصفوى الأردبيلى المهاجر إلى حلب وما حديث الصفويه فى الامارة بمجهول . بهذا كان رحمه الله تعالى لا يهاب الحكام ولا يداريهم مع أن حكومتهم فى الحقيقة استبدادية . وهذا هو الذى أحبط أعماله فى بلده وذهب بثروته . غاضب عارف باشا أحد ولاة حلب فأغرى بعض الناس بأن يكتب إلى الاستانه شاكياً من سيئات الوالى شارحاً لها فعلم الوالى بذلك فعمل مكيدة لحبس الفقيد وضبط أوراقه وزور عليه ورقة سماها (لائحة تسليم ولاية حلب إلى دولة أجنبية) وطلب محاكمته عليها وحكم القانون فى هذه الجريمة الاعدام وانكم غلطوا فى معاملته بالحبس وطلب الاستنطاق غلطاً قانونياً ما كان ليخفى على الفقيد فكتب إلى الاستانة كتابة مطولة يشهر فيها أن خروج حكومة الولاية عن حدود القانون هو من دلائل تحاملها عليه وتحريها ظلمه وطلب أن يحاكم فى ولاية أخرى فاجيب طلبه وحوكم فى بيروت فحكم ببراءته وما زال يتتبع الوالى حتى عزل بعد عودته إلى حلب وكان هو أول من بشره بالعزل بواسطة ناحى الولاية ثم انه أخرجه من حلب باهانة عظيمة لأنه أو عز إلى اصناف الفقراء الذين كانوا يسمون الفقيد أبا لهم لتصدمه إياهم فاجتمعوا عند داره بهيئات غريبة فترك أهله وخرج كالهارب وسافر إلى الاستانة وتبعه الفقيد ليحاكمه ولكنه لم يكد يصل اليها حتى مات قهراً

وكان الشيخ أبو الهدى أفندى الشهير من اعدائه ويقال أن السبب الأول فى ذلك إباء الفقيد أن يصدق على نسب الشيخ أبى الهدى هذا وان الشيخ أبا الهدى صار نقيب أشراف حلب وكانت هذه النقابه من قبل فى آل الكواكبى . ومن آداب الفقيد العالية أنه كان هنا يثنى على صفات الشيخ أبى الهدى الحسنة كالمروءة والكرم والذكاء والثبات وقلما كان يخوض بانتقاده إلا مع الخواص الذين يعرفون الحقائق

فكانت عداوتهما عداوة العقلاء

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

خسر الفقيد بتلك المحاكمة ألوفا من الجنيهات وخسر أضعافها بادارة شركة انحصار الدخان للمرة الثانية أيضاً لأن الحكومة مكلفة بحفظ أماكن الشركة فلما حدثت فتنة الأرمن امتنع الوالي عن إرسال العساكر لمنع نهب الارمن مال الشركة. وخسر بعدم مدارة الحكام غير ذلك من المزارع والارض (منها) مزرعة (جفتلك) جميل باشا الوالي التي اشتراها منه الفقيد فاعتدى عليها زعماء التركمان باغراء خفي حق أخذوها. (ومنها) مزرعة (جفتلك) كانت مستنقعات تابعة للاراضي الاميرية فألف لها شركة وأخذها من الحكومة وجففها فأغرى الغرون بعض عشائر الاكراد بالتعدي على حصته فحاكمهم فحكم لهم عليه بالمساعدة الخفية. وفي أثر ذلك سافر مهاجراً إلى مصر

سياسته ورأيه في الإصلاح: لم يكن الفقيد في اشتغاله بخدمة بيته وبلده وحكومته غافلا عن شئون المسلمين العامة فقد كان يقرأ الجرائد التركية والمصرية حتى الممنوعة التي كانت تدخل إلى حلب كغيرها بوسائط خفية. ولما هاجر إلى مصر كان أول أثر له فيها طبع سجل جمعية أم القرى وكان يقول ان لهذه الجمعية أصلا وأنه هو توسع في السجل ونفحه ست مرات آخرها عند طبعه منذ سنتين ونيف أي عقيب قدومه إلى مصر. وقد قال لنا مرة إن الإنسان يتجرأ أن يقول ويكتب في بلاد الحرية ما لا يتجرأ عليه في بلاد الاستبداد بل ان بلاد الحرية تولد في الذهن من الافكار والأراء مالا يتولد في غيرها. ومن يقرأ الكتاب يظن أن صاحبه صرف معظم عمره في البحث عن أحوال المسلمين وتاريخهم في عقائدهم وعلومهم وآدابهم وتقاليدهم وعاداتهم ومنه يعلم رأي الفقيد في الاصلاح وقد كنا معه على وفاق في أكثر مسائل الاصلاح حتى أن صاحب الدولة مختار باشا الغازي اتهمنا بتأليف الكتاب عندما اطلع عليه وربما نشير إلى المسائل التي خالفنا الفقيد فيها في هامش الكتاب عند طبعه وأهمها الفصل بين السلطتين الدينية والسياسية.

أما آراؤه ومعارفه السياسية فحسبنا منها كتاب طبائع الاستبداد الذي يكاد يكون معجزة للكتاب السياسيين. وقد زعم زاعمون ان معظم ما في هذا الكتاب مقتبس من كتاب لفيلسوف ايطالي في الظلم. ومن كان له عقل يميز بين أحوال الإفرنج الاجتماعية وأحوالنا ودوقهم في العلم وذوقنا يعلم أن هذا الوضع وضع حكيم شرقي يقتبس علم الاجتماع والسياسة من حالة بلاده حتى كأنه يصورها تصويرا واذا لاحظ مع ذلك ان هذا الكتاب كان مقالات مختصرة نشرت في المؤيد ثم مدها صاحبها مد الأديم العكاظي وزاد فيها فكانت كتاباً حافلا يتجلى له علمه الأول بصورة أوضح وأجلى

www.alukah.net

وإذا علم بعد هذا كله أنه نقحه بعد الطبع وحذف منه قليلا وزاد فيه كثيرا علم اليقين أن يذوع علم هذا الرجل صدره وأنه كان يزداد في كل يوم غبطة وتفجرا . نعم إنه قال في مقدمته أن بعضه مما درسه بنفسه مما التبس عليه، وأنا علم أن لم يولد إنسان عالما ولكن فرقا عظيما بين من يحكي كلام كبير كان له (النوامرات) وبين من يحكم عقله في علوم الناس فيأخذ ما صح عنده ويبذل لا سيما من كان له مثل هذا العقل الحاكم في كليات العلوم فهو الفيلسوف ان كان اجتهاده هذا في العلوم العقلية والكونية وهو الامام ان كان اجتهاده في العلوم الدينية

وجهه الا[illegible] وجه همته أخيرا إلى التوسع في معرفة حال المسلمين ليرى في الإصلاح على بصيرة فبعد اختباره التام لبلاد الدولة العلية تركها وعربها وأكرادها وأرمنها ثم اختباره لمصر ومعرفة حال [illegible] منذ سنتين في سواحل افريقية الشرقية و[illegible] الغربية [illegible] في السنة الماضية فاختبر بلاد العرب التي كانت موسع أمله أتم الاختبار فانه دخلها من سواحل المحيط الهندي وما زال [illegible] حتى [illegible] بلاد اليمن واختبر بالامراء وشيوخ القبائل وعرف استعدادهم الحربي والأدبي وعرف حالة البلاد الزراعية وعرف كثيرا من معادنها حتى انه [illegible] أمرها [illegible] حالته الأخيرة إلى كراتشي من موانئ الهند [illegible] حر الله له في عودته غيبة [illegible] حملته به صيحة من وكيل ايطاليا السياسي في مسقط حالف به سواحل بلاد العرب وسواحل افريقيا الشرقية فتيسر له بذلك اختبار هذه البلاد اختبارا سبق به [illegible] وقال في نفسه رحلة أتى بها [illegible] من الرحالين [illegible] من جنس دعوته الدينية التي يعمل دون كل شيء لنشرها

[illegible] رأيت رجلا كريم الأصل، كبير النفس، [illegible] وتعلم أحسن ما يدخل في الأعمال الخيرية وتصدى للشروعات المعقدة كما في أدق المسائل أحسن الكتابة والسياحة في البلاد، واختبر أحوال الأمم حتى إنه أتى وهو لا يدري كيف يكون حاله وما هي درجة استعداده؟؟ هذا هو صديقنا الذي فقدناه بالأمس، فكلنا فقدنا به الشمس ومثل تلك الأعمال الكبيرة، لا تبلغ إلا [illegible] وسعة المال والجمعيات وقد كان له أمل في مصر وأمرها أراد الاختبار [illegible] كان لموته تأثير كبير في الفلاح والعقلاء، وقد نعى بن الجناب الخديوي [illegible] له الوزارة وأمر بأن يدفن على نفقة سموه وأن يحمل بدفنه فكان ذلك . فرحم الله فقيدنا وأحسن عزاء الإسلام والشرق فيه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الثلاثاء ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٢٠ — ٢٢ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٢)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ باب الدهر والدهري ﴾

الدهر والزمن (س١) احمد افندي عبد الكريم بالزقازيق: نقرأ ونسمع كل يوم من مذام الدهر نظما ونثرا من جميع الملل مالا يخفى عليكم ولا نعلم ما يقصدون بالدهر الذي ينسبون اليه افعالا كالرفع والخفض والعسر واليسر وما مسمى هذا الاسم أهي المدة الزمانية ولا دخل لها في الأفعال أم ماذا؟ والحامل لي على هذا السؤال اني سمعت من أحد العلماء حديثا أدهشني وهو: « لاتسبوا الدهر فان الدهر هو الله » وقد نري أكثر سابي الدهر من العلماء الذين لا يغيب عنهم هذا الحديث فما رايكم في هذا السؤال وفي صحة الحديث أجيبوني ولكم مزيد الشكر ومن الله الاجر

(ج) اختلف العلماء في تفسير الدهر والزمان والنسبة بينهما فقال الراغب الدهر اسم لمدة العالم من مبدإه الى منتهاه ثم صاروا يطلقونه على المدة الطويلة وأما الزمان فيطلق على المدة الطويلة والقصيرة اطلاقا حقيقيا وزعم السمعاني ان الدهر طول الزمان. وقد فشا بين الأدباء والشعراء ذم الدهر والزمان ونسبة الحوادث السيئة اليهما وترى شعراء العرب بعد الاسلام قلما يذمون الدهر وإنما يذمون الزمن. ولا يقصد هؤلاء ولا أولئك بالزمن أو الدهر حركة الفلك أو الليل والنهار أو ما يقول المتكلمون في تعريف الزمن « مقارنة متجدد معلوم لمتجدد موهوم » وإنما يقصدون ان تعاستهم أو شقاءهم وكل ما يشكون منه لم يكن من تقصيرهم وإنما علته عدم مواتاة الشؤون الكونية المتعلقة بغيرهم من الخلق ولما كانت هذه الشؤون التي يتوقف عليها النجاح مع سعي الانسان غير معينة صاروا ينسبونها الى أعم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شيء يمكن أن تسنداليه وهو الزمن أو الدهر

وقد حكى الله تعالى عن بعض الملاحدة نسبة الإحياء والاماتة الى الدهر فقال « وقالوا إن هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » والظاهر انهم يعنون ان هذا هو المعروف طول الدهر فلا يوجد شيء آخر يحيي ويميت وهذا النفي المطلق جهالة لا دليل عليها . وأما الحديث فقد جاء في صحيح مسلم بلفظ « لا يسب أحدكم الدهر فان الدهر هو الله تعالى » وورد بلفظ آخر عند أبي داود والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وهو : « قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يقول ياخيبة الدهر فاني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره » ورواه غيرهم وله ألفاظ أخرى لا حاجة الى استقصائها . ولم يرد اسم الدهر في أسماء الله تعالى لانه أطلق عليه سبحانه على سبيل التجوز والمعنى فيه ان الشيء الذي يسند اليه الناس الافعال ولا يعرفون حقيقته وانما يسمونه الدهر لأنه غير متعين في علمهم الناقص هو الله جل شأنه لانه هو الفاعل المختار الذي يرجع اليه الامر كله

الدعاء والقضاء وطول العمر (س٢) أحمد أفندي متولي بمصر : اطلعت على حديث في تفسير الخازن هذا نصه : عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر » وهذا مضاد لما اعتقده من انه لا رد لقضاء الله وان العمر لا يزيد ولا ينقص لقوله تعالى « لكل أجل كتاب » وقوله جل ذكره « فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » فالرجاء افادتنا عن ذلك

(ج) اتفق النقل مع العقل على ان كل ما يقع في الوجود فانما يقع

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بحسب ما في علم الله تعالى لأن وقوع شيء على خلاف ذلك يستلزم الجهل وهو محال على الله تعالى فما خالف هذه العقيدة خلافا حقيقيا فهو مردود ونقطع بأنه مكذوب على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم اذا لم يمكن تأويله وإرجاعه اليها . وقد أول العلماء حديث « لا يرد القضاء الا الدعاء » فقالوا قد يكون في علم الله تعالى ان فلانا يصاب بكذا أو يكون بصدد أن يصاب به فيدعو الله فينكشف عنه البلاء الذي كان معلقاً نزوله او دوامه على عدم الدعاء وانكشافه على الدعاء ويسمون هذا القضاء المعلق . أما القضاء المبرم وهو ما سبق في علم الله تعالى أن يكون لا محالة فهو الذي لا يمكن أن يرد . واذا كان هذا التقسيم لاجل الجواب عن هذا الحديث فهناك أحاديث لا يمكن ان يجاب عنها منها ما أخرجه أبو الشيخ عن أنس مرفوعا « أكبر من الدعاء فان الدعاء يرد القضاء المبرم » وما أخرجه ابن عساكر عن عمير ابن أوس مرسلا « الدعاء جند من أجناد الله مجندة يرد القضاء بعد أن يبرم » . والحديثان ضعيفا السند جدا . والحديث الوارد في السؤال رواه الترمذي والحاكم . وقد ذكر المحدثون ان من علامة الحديث الموضوع مخالفته للعقائد القطعية والاصول الثابتة ومنها مخالفته للعقل وللوجود

وأما كون البر يزيد في العمر فقد ورد بمعناه أحاديث في الصحيح وهو كلام في الاسباب لا في علم الله تعالى وقضائه في العباد . قال بعض العلماء في تفسيره ان أهل البر يكونون أهنأ الناس عيشاً لما بينهم وبين والديهم وأهليهم وسائر الناس من الحب وحسن المعاملة وهذه هي الزيادة في العمر فان من يعيش بالمناكدة والفجور كأنه لم يعش لأن حياته تذهب سدى . وفيه وجه آخر وهو ان البر وحسن الاخلاق والاعتدال في الامور من

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

اسباب الصحة واعتدال المزاج والصحة هي مادة طول الحياة في الغالب وهذا انما يأتي بالنسبة لحالة البنية واستعداد الشخص لا بالنسبة لما في علم الله تعالى لانه لا يتغير وأكثر الكلام بين الناس يكون في الاسباب لا في أصول العقائد وقد أوضحنا هذه المسئلة في الدرس ١٦ من الامالي الدينية (راجع ٣:٥٥٨)

رضاع الزوج من الزوجة (س ٣) م . ص . في الجيزة : اذا رضع الزوج ثدي زوجته هل تحرم عليه ؟

(ج) لا فان حكم الرضاع انما يثبت في الصغير عند جماهير العلماء من السلف والخلف والمروي عن الائمة الاربعة وغيرهم انه لا تأثير له بمداخولين وفيه حديث رواه الدارقطني عن ابن عباس « لا رضاع الا ما كان في الحولين » وفي حديث صححه الترمذي عن ام سلمة « لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعاء وكان قبل الفطام » والمراد بفتق الامعاء كونه عمدة في التغذية ولكن وردت أحاديث اصح من هذه في التحريم برضاع الكبير وقد أجابوا عنها بما يحتمل البحث ومن أراد الاحتياط فليجتنب كل ما فيه خلاف . وأما سؤالكم الاول فاننا لم نفهمه وسنجيب عن اقتراحكم في الطلاق عند سنوح الفرصة .

القسم العمومي

﴿ فرنسا والاسلام ﴾

لا تزال دولة فرنسا في حيرة وعمه لا تهتدي معهما الى طريقة تطمئن اليها في سياسة مستعمراتها الاسلامية فكتابها من الفلاسفة والسياسيين يواصلون البحث في الاسلام على مر الايام والاعوام لأجل اشراع هذه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الطريقة وماهم بمشرعيها ولما تطمئن نفوسهم الى شئ كاطمئنان نفس انكلترا في سياسة مستعمراتها الاسلامية وغير الاسلامية . لقد ظهرت نتيجة حسن سياسة انكلترا في ارتباكها بحرب الترانسفال فلقد كانت عاجزة عن تأديب مملكة واحدة من ممالكها الاستعمارية الواسعة اذا هي تألبت عليها وثارت تريد الخروج من دائرة سلطتها . والله يعلم ما يكون من أمر مستعمرات فرنسا معها اذا وقعت في مثل ذلك الارتباك وأنتهت الى مثل ذلك الخطر الذى كانت فيه انكلترا أيام كانت الحرب في شبابها .

سلكت فرنسا مع المسلمين مسلك العنف والضغط حتى حالت بين المسلمين الذين تحت سيادتها أو حمايتها وبين العلم والتعليم وزعمت ان فرقاً بينها وبين انكلترا فانها تحكم شعوباً لا تزال الشهامة الاسلامية والشجاعة العربية متمكنة في نفوسها وان انكلترا تسوس قوماً فسد بأسهم وهجرتهم الشجاعة والشهامة بما توالى عليهم من ظلم حكامهم كالهنديين والمصريين الذين لا تخشى بادرتهم . ولا تحذر غائلتهم . وجهات أقرب حوادث التاريخ في مصر وهو خروج المصريين على حكامهم الذين يدينون بدينهم وينطقون بلغتهم عندما أمكنتهم الفرصة من الخروج عليهم حتى كان العلماء وهم أبعد الناس عن السياسة من خطباء الثورة العرابية ودعاتها بعدما كانوا يقولون بوجوب طاعة هؤلاء الحاكمين والخضوع لهم . ولا أنسى كلمة سمعتها من كبير العلماء في بلد من سوريا قالها في محفل كبير ذكرت فيه الثورة العرابية فقال ذلك الشيخ رحمه الله « كلنا عرابيون » ودعا لعرابي وحزبه بالنصر . واذا وجد في العلماء رجل واحد بصير بالسياسة كان يحذر العرابيين وينذرهم سوء عاقبة الثورة كالشيخ محمد عبده فذلك لا ينافي أن الجماهير

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كانوا راضين عنها وداعين اليها

أتجهل فرنسا ان سياسة الظلم والقسوة التي نفخت روح الثورة في المصريين الجبناء في نظرها على حكامهم المسلمين تخشى عاقبتها من الجزائريين والتونسيين وهم من أهل النجدة والبأس والشجاعة والشهامة ؟ أتجهل السر في سكون هؤلاء الذين عهدهم بالثورة غير بعيد عند ظهور انكسار انكلترا في الحرب المرة بعد المرة ؟ السر ظاهر غير مكتوم وهو انهم في رخاء من العيش يرفلون في ظلال الحرية التامة ونعيمها . نعم انهم تمنون الاستقلال التام لأنه هو كمال الحياة الاجتماعية ومن نجا من الاستعباد والاستذلال ، يشتهي كمال الاستقلال ، ولكن الناس لا ينبعثون الى الثورة الا بالظلم والتضييق فان الانفجار نتيجة الضغط

اذا كانت انكلترا لا تساعد استعداد الشعوب على الترقي كما هو شأنها في انجبار فانها قلما تعارضه لانها لا تحارب الطبيعة فقد كان مسلمو الهند في جهل وخمول فتركتهم وشأنهم فظهر فيهم مرشدون اشتغلوا بتربيتهم وتعليمهم فصادفوا من الحكومة الانكليزية ارتياحاً بل تنشيطاً ومساعدة وأعطتهم الحرية التامة في انشاء المدارس والجرائد وعقد الجمعيات . والبريد عندهم حر فلم نسمع ان جريدة منعت عن الهند وان مكتوبا ضاع او رسالة اختزلت او كتابا ارسل فلم يصل فهل تعامل فرنسا اهل الجزائر بمثل هذه المعاملة او بما يقرب منها ؟؟

لقد كان لفرنسا في سيرة الانكليز في الاستعمار ما يغنيها عن كثرة البحث والتأليف والتصنيف في حال المسلمين وكيف ينبغي ان يعاملوا ويغنيها عن تأليف اللجنة التي الفتها من عهد قريب لتمحيص البحث في

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هذه المسئلة

يحكم كتاب فرنسا وساستهم على المسلمين من غير ان يستشيروهم او يعرفوا مايكتبه الاحرار العارفون بالدين وأهله عنهم ولكن بعض حكامهم يستكتبون بعض المصانعين لهم ما ارادوا وينشون انفسهم وقومهم بما يوهمونهم ان هذا هو رأي علماء المسلمين واهل الرأي فيهم . اكثر ما يكتبه الفرنسويون عن الإسلام والمسلمين يحفظ القلوب ويثير الاحقاد ويخرج الاضغان وكل هذا يحتمل ما دامت القوة فاذا عرض عليها ما يضعفها فهنالك يحصدون شر ما يزرعون . وليس من العقل الاغترار بدوام القوة

الفرنسيون ابعد الناس عن الدين وعن التعصب له ولكنهم اذا كتبوا عن الاسلام فانما ينفثون السموم ويظلون المسلمين بظل من يحمُوم؛ الا ماكان من فيلسوف حكيم يكتب للعلم لا للسياسة . حكومة الجمهورية ليست مسيحية فتتعصب على الاسلام لاجل النصرانية وانها لتقاوم النصرانية في بلادها كما تقاوم الاسلام في مستعمراتها ولكنها تعتقد ان المسلمين قوم حرب وان دينهم يطالبهم بان يكونوا سائدين غير مسودين وأنهم يتربصون بمن يسودهم الدوائر حتى اذا ماسنحت لهم الفرصة وثبوا ، فسلبوا ونهبوا ؛ وان السياسة الواقية ان يوضعوا في الاوهاق ؛ وتغل الأيدي الى الاعناق ؛ وان تحجب شمس العلم عن الانظار ؛ وتحول بين الاسماع وما في العالم الاسلامي من الاخبار ؛ وان تراقب الحكومة السائحين ، اذا كانوا مسلمين أو عثمانيين ؛ — ومن الاعتقاد ماهو ظن وان بعض الظن إثم . ولا شئ يحرج الصدور ؛ ويمض النفوس مثل هذه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المعاملة السوءى لأنها برهان على ان هذه الحكومة تبغض المسلمين والجاهل لا يعرف سببا للعداوة والبغضاء الا الأمر العام وهو الدين لذلك يعتقد الاكثرون في المستعمرات الفرنسية ان فرنسا تبغض المسلمين لأنهم مسلمون يعبدون الله من دون المسيح ويؤمنون بمحمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

نحن والعقلاء نقول ان الأمر ليس كذلك ومثلنا من يقدر على إقناع المسلمين لأننا من خدمة الدين والعلم فيهم ولكن هذا الاقناع يتوقف على وصول صوتنا الى تلك المسامع وفرنسا لا ترضى بذلك بل ولا ترضى بأن يتعلم المسلمون الا اللغة الفرنسية التي تزيد المسلمين بغضا في فرنسا كما صرح بذلك بعض كتابها وذلك انهم يرون في الكتب والجرائد الفرنسية الطعن الموجع مصوبا دائما الى صدور المسلمين . وفرنسا أقدر منا على اقناع المسلمين بحسن نيتها وسلامة عاقبتها اذا برهنت عليه بالعمل ولكن يتعذر عليها إقناع مسلم واحد بالقول وان أوتيت من سحر البيان ؛ وخلابة اللسان ، ما لم يؤته إنسان ؛

فرنسا في شك مريب من أمر مسلمي مستعمراتها لا تدري أيمكن أن تعيش معهم في وئام ، وهدون وسلام ، أم ذلك من الأماني والاوهام ، التي لا تدرك ولا ترام ، ولا شك عندنا نحن في الامكان ، والمرتاب لا يقنعه البرهان ، ولكن ربما تقنعه حوادث الزمان ، والمريب يكون دائما في حذر ، والظالم لا يمكن ان يأمن الغير ، ولو أخلصت فرنسا النية ، لعرفت القضية ، وبانت الأمنية ،

لو اطلقت فرنسا لأهل الجزائر حرية العلم والدين وحافظت فيهم على أحكام شريعتهم وآدابها وساعدتهم على ترقي بلادهم وعمرانها وأقامت

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فيهم العدل وأباحت لكل أحد أن يمازجهم ويرى ماهم فيه حينئذ من غبطة ونعيم لكانت هذه المعاملة الحسنى اقوى جاذب يجذب جيرانهم المراكشيين الى الدخول في حكم الولاية الجزائرية قبيلا بعد قبيل لاسيما اذا جعلت للولاية حاكما مسلما يصدر الاحكام الشرعية وينفذها .

قد نعلم ان من الفرنسيين من يسخر من هذا الكلام اذا سمعه متوهما اننا نقوله خداعاً لهم لا عن اعتقاد منا بصحته . ولا يعلم الساخر المفروض اننا أقرب الى الشك في كون إحسانهم معاملة المسلمين خيراً للمسلمين منا الى الشك فيما قلناه فان الظلم والقسوة فى المعاملة هي التي تربي الأمم وترجع اليها استعدادها المفقود ، او تبعث فيها استعداداً لم يكن بالموجود ، ولقد كانت الحرب الروسية العثمانية اكبر منبه للمسلمين الى الحياة الاجتماعية فى مشارق الارض ومغاربها وإن كانت اكبر خسارة على المسلمين فى الظاهر . وان من ساسة المسلمين وعقلائهم من يعتقد ان نجاح الاسلام الاكبر يتوقف على سقوط كل هذه الحكومات الاسلامية التي بقيت لها رسوم ماثلة فان أعظم ادواء المسلمين الاجتماعية اعتمادهم على حكوماتهم واستبداد حكامهم بهم فان تعود اليهم قوتهم الحقيقية واستقلالهم الذاتي الا بسقوط هذه الرسوم ليرجعوا الى قوتهم الذاتية الاستقلالية

بِمَ يفسر مسلمو الجزائر وتونس وغيرهم عداوة فرنسا للسيد المهدي السنوسي وهو من رجال الدين وشيوخ الطريق ولماذا يكتب الفرنسيون فى جرائدهم وكتبهم انه لابد من استئصال قوته ، واصطلام دعوته ؛ واخماد جذوته ؛ كما بينا ذلك فى العدد ٢٣ من منار السنة الاولى ولماذا لا يحفل الانكليز بذلك ولا يبحثون عن زواياه واتباعه فى السودان ومصر ولماذا لم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يكتب أحد من الانكليز ناصحاً قومه ومبيناً لهم الحيل والدسائس التي تتفتت بها القوة السنوسية ؟؟ ان سياسة فرنسا في أفريقيا خرقاء وربما تكشف هذه المناوشات الاخيرة بينها وبين المهدي السنوسي خرقها الا اذا أراد الله لها زيادة الاستدراج والاملاء الى أجل مسمى والى الله المصير (يطلب خبر محاربة فرنسا والسيد المهدي السنوسي في باب الاخبار)

نموذج من كتاب دلائل الإعجاز للامام عبد القاهر الجرجاني

(تتمة الكلام على من زهد في رواية الشعر وحفظه . وذم الاشتغال بعلمه وتتبعه)

كان آخر القول في النبذة الماضية ان النبي كان يستنشد عائشة فتنشده ما تقدم

قالت فيقول عليه السلام « يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده صنع اليك عبدي معروفاً فهل شكرته عليه فيقول يارب علمت انه منك فشكرتك عليه قال فيقول الله عز وجل لم تشكرني اذلم تشكر من أجريته على يده » :

(وأما) علمه عليه السلام بالشعر فكما روي ان سودة انشدت « عَدِيٌّ وتيم تبتغي من تحالف » فظنت عائشة وحفصة رضي الله عنهما انها عرّضت بهما وجرى بينهن كلام في هذا المعنى فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليهن وقال « ياويلكن ليس في عَدِيّكُنّ ولا تَيمكنّ قيل هذا وإنما قيل هذا في عدي تميم وتيم تميم » . وتمام هذا الشعر:

فخالفْ ولا والله تهبط تَلْعَةً ... من الارض الا أنت للذل عارف (١)

ألا مَن رَأى العبدين أوذُكِرَا له ... عدي وتيم تبتغي من تحالف

---

(١) التلعة تطلق على ماعلا وعلى ماسفل من الأرض وقيل هي ما اتسع من فوهة الوادي

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وروى الزبير بن بكار . قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر رضي الله عنه برجل يقول فى بعض أزقة مكة :

يا أيها الرجل المُحوّل رحله هلا نزلت بآل عبد الدار

فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا أبا بكر هكذا قال الشاعر » قال لا يارسول الله ولكنه قال :

يا أيها الرجل المحول رحله هلا سألت عن آل عبد مناف

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا كنا نسمعها .

(وأما) ارتياحه صلى الله عليه وسلم للشعر واستحسانه له فقد جاء فيه الخبر من وجوه من ذلك حديث النابغة الجعدي قال أنشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم قولي:

بلغنا السماء مجدُنا وجدودُنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أين المظهر يا أبا ليلى ؟ » فقلت الجنة يارسول الله قال « أجَلْ ان شاء الله » ثم قال « أنشدني » فانشدته من قولي :

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له بَوادِرُ تحمي صفوَه أن يكدرا[1]

ولا خير فى جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما أورد الأمرَ أصدرا

فقال صلى الله عليه وسلم « أجدت لا يفضض الله فاك » قال الراوي

---

(١) البوادر جمع بادرة وهى الحدة او ما يبدر من الانسان عند الحدة من الخفة الى الانتقام بالقول او الفعل . والحديث رواه ابن عساكر وابن النجار بلفظ [بمجدنا] بدل [مجدُنا] وفيه انه انشد البيتين بعد ذلك من نفسه فقال له عليه السلام « لا يُفضَض فوك » مرتين قال الراوي وهو يعلى بن الاشدق فلقد رأيته بعد عشرين سنة ومائة وان لأسنانه اُشُرًا كأنه البرد . والاشر الحدة والرقة فى اطراف الاسنان والتحزيز الذي يكون فيها

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فنظرت اليه فكأن فاه البَرَدُ المنهل ما سقطت له سن ولا انفلتت ترف غروبه (١)

(ومن ذلك) حديث كعب بن زهير روي أن كعباً وأخاه بجيرا خرجا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغا أبرق العزّاف فقال كعب لبجير: الق هذا الرجل وأنا مقيم ههنا فانظر مايقول وقدم بجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الاسلام فاسلم وبلغ ذلك كعباً فقال في ذلك شعراً فاهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه فكتب اليه بجير يأمره ان يسلم ويقبل الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول وأن من شهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله قبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسقط ما كان قبل ذلك فقدم كعب وأنشد النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته المعروفة:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يفد مفلول (٢)

وما سعاد غداة البين اذ رحلت ... الا أغنّ غضيض الطرف مكحول

تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت ... كأنه منهل بالراح معلول

سَحَّ السقاة عليه ماء محنية ... من ماء أبطح أضحى وهو مشمول (٣)

«١» الغروب الاسنان ورفيقها بريقها كذا في الهامش بخط الاستاذ وقال هذه الجملة «ولا انفلت» ويظهر لي أن اصلها «ولا انفكت» وهي مع رفع غروبه جملة واحدة. والانفلال التثلم والاشر «٢» المتبول من تبله الحب اذا أضناه وأفسد أو ذهب بلبه وعقله. والمتيم المذلل المعبد. والمفلول من وضع الفل في عنقه وفي رواية «مكبول» وهو المقيد بالكبل أي القيد «٣» وفي نسخة «سَحَّ السقاة عليها» أما الرواية المشهورة في البيت فهي

شُجَّت بذي شَبَم من ماء محنية ... صاف بأبطح أضحى وهو مشمول

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أكرم بها خُلّةً لو انها صدقت ... موعودها أو لوَ أنّ النصح مقبول (٤)

حتى أتى على آخرها فلما بلغ مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن الرسول لسيف يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول (٥)

فى فتية من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا زولوا

زالوا فما زال انكاس ولا كُشُفٌ ... عند اللقاء ولا ميل معازيل

لا يقع الطعن الا فى نحورهم ... وما بهم عن حياض الموت تهليل

شُمّ العرانين أبطال لبوسهم ... من نسج داود فى الهيجا سرابيل

اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحِلَقِ أن اسمعوا قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون من اصحابه مكان المائدة من القوم يتحلقون حلقه دون حلقه فيلتفت الى هؤلاء والى هؤلاء والاخبار فيما يشبه هذا كثيرة والأثر به مستفيض

وان زعم انه ذم الشعر من حيث هو موزون مقفّى حتى كان الوزن عيباً ، وحتى كان الكلام اذا نظم نظم الشعر اتضع فى نفسه وتغيرت حاله ، فقد ابعد وقال قولا لا يعرف له معنى وخالف العلماء فى قولهم : انما الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح (٦) . وقد روي ذلك عن النبي صلى عليه وسلم مرفوعاً :

فان زعم انه انما كره الوزن لانه سبب لان يغنّى في الشعر ويلتهى به : فانا اذاً

---

(٤) وفي رواية « وَيُتِمّها خلة (٥) وفي راواية لنور بدل لسيف . ولا نفسر الابيات فالقصيدة شهيرة . وشروحها في الايدى على اننى لم ار أحداً من المحدثين رواها

(٦) روى الدارقطني فى الافراد عن عائشة والبخاري فى الأدب والطبراني في الاوسط وابن الجوزي فى الواهيات عن عبد الله بن عمر . والشافعي والبيهقي عن عـ مرسلا : (الشعر كلام بمنزلة الكلام فحسنه حسن الكلام وقبيحه ق

www.alukah.net

كنا لم ندعه الى ا... من أجل ذلك وانما دعوناه الى اللفظ الجزل، والقول الفصل، والمنطق الحسن، ز... لام البين، والى حسن التمثيل والاستعارة، و الى التلويح والاشارة، والي صنعة تعمد الي المعنى الخسيس فتشرفه، والي الضئيل فتفخمه، والي النازل فترفعه، والي الخامل فتنوّه به، والي العاطل فتحلّيه، والي المشكل فتجليه، فلا متعلق له علينا بما ذكر، ولا ضرر علينا فيما أنكر، فليقل في الوزن بما شاء، وليضعه حيث أراد، فليس يعنينا أمره، ولا هو مرادنا من هذا الذي راجعنا القول فيه، وهذا هو الجواب لمتعلق ان تعلق بقوله تعالى « وما علّمْناه الشِّعْرَ وما يَنْبَغِي له » وأراد أن يجعله حجة في المنع من الشعر، ومن حفظه وروايته، وذلك انا نعلم انه صلى الله عليه وسلم لم يمنع الشعر من أجل ان كان قولا فصلا، وكلاماً جزلا، ومنطقاً حسنا، وبياناً بيناً، كيف وذلك يقتضي ان يكون الله تعالى قد منعه البيان والبلاغة، وحماه الفصاحة والبراعة، وجعله لا يبلغ مبلغ الشعراء في حسن العبارة، وشرف اللفظ وهذا جهل عظيم، وخلاف لما عرفه العلماء وأجمعوا عليه من انه صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب. واذا بطل ان يكون المنع من أجل هذه المعاني وكنا قد أعلمناه انا ندعو الى الشعر من أجلها ونحدو بطالبه على طلبها كان الاعتراض بالآية محالا، والتعلق بها خطلا من الرأي وانحلالا:

فان قال اذا قال الله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » فقد كره للنبي صلى الله عليه وسلم الشعر ونزهه عنه بلا شبهة وهذه الكراهة وان كانت لا تتوجه اليه من حيث هو كلام ومن حيث انه بليغ بين وفصيح حسن ونحو ذلك فانها تتوجه الى أمر لابد لك من التلبس به في طلب ماذكرت انه مرادك من الشعر وذلك انه لا سبيل لك الى أن تميز كونه كلاما عن كونه شعراً حتى اذا رويته التبست به من حيث هو كلام ولم تلتبس به من حيث هو شعر هذا محال. واذا كان لابد لك من ملابسة موضع الكراهة فقد لزم العيب برواية الشعر واعمال اللسان فيه. قيل له (١) هذا منك كلام لا يحصل وذلك انه لو كان الكلام اذا وزن حط ذلك من قدره وأزرى به وجلب على المفرغ له في ذلك القالب اثما، وكسبه ذماً. لكان من حق العيب فيه أن يكون على واضع الشعر أو من يريده لكان الوزن خصيصة دون من يريده لأمر خارج عنه ويطابه لشيء سواه. فاما قولك انك لا تستطيع طلب من الشعر ما لا يكره

(١) جواب قوله « فان قال اذا قال الله » الخ قاله الاستاذ الامام

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حتى تلتبس بما يكره فاني اذاً لم أقصده من أجل ذلك المكروه ولم أرده له وأردته لاعرف به مكان بلاغة ، وأجعله مثالا في براعة ، أو أحتج به في تفسير كتاب وسنة وأنظر الى نظمه ونظم القرآن ، فارى موضع الاعجاز وأقف على الجهة التي منها كان ، وأتبين الفصل والفرقان ، فحق هذا التلبس ان لايعتد علي ذنباً وان لا أواخذ به اذ لاتكون مؤاخذة حتى يكون عَمْدٌ الى أن تواقع المكروه وقصد اليه (١) وقد تتبع العلماء الشعوذة والسحر وعنوا بالتوقف على حيل الموهين ليعرفوا فرق مابين المعجزة والحيلة فكان ذلك منهم من أعظم البراذكان الغرض كريماً والقصد شريفاً

هذا واذا نحن رجعنا الى ماقدمنا من الاخبار . وما صح من الآثار ، وجدنا الامر على خلاف ماظن هذا السائل ورأينا السبيل في منع النبي صلى الله عليه وسلم الوزن وأن ينطاق لسانه بالكلام الموزون غير ماذهبوا اليه ، وذلك انه لو كان منع تنزيهٍ وكراهة لكان ينبغي أن يكره له سماع الكلام موزوناً وأن ينزه سمعه عنه كما ينزه لسانه ولكان صلى الله عليه وسلم لا يأمر به ولا يحثّ عليه ، وكان الشاعر لايمان على وزن الكلام وصياغته شعراً ولا يؤيَّد فيه بروح القدس ، واذا كان هذا كذلك فينبغي أن يعلم أن ليس المنع في ذلك منع تنزيه وكراهة بل سبيل الوزن في منعه عليه السلام اياه سبيل الخَطّ حين جعل عليه السلام لايقرأ ولا يكتب في أن لم يكن المنع من أجل كراهةٍ كانت في الخط بل لأن تكون الحجة أبهر وأقهر ، والدلالة أقوى وأظهر ، ولتكون أكم للجاحد (٢) وأقمع للمعاند ، وأردّ لطالب الشبهة ،وأمنع في ارتفاع الريبة ،

وأما التعلق بأحوال الشعراء بأنهم قد ذموا في كتاب الله تعالى فما أرى عاقلا يرضى به أن يجعله حجة في ذم الشعر وتهجينه ، والمنع من حفظه وروايته ، والعلم بما فيه من بلاغة ، وما يختص به من أدب وحكمة ، ذلك لانه يلزم على قود هذا القول أن يعيب العلماء في استشهادهم بشعر امرئ القيس وأشعار أهل الجاهلية في تفسير القرآن وغريبه وغريب الحديث ، وكذلك يلزمه أن يدفع سائر ماتقدم ذكره من أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالشعر واصغائه اليه واستحسانه له ، هذا ولوكان يسوغ ذم القول من أجل قائله ، وأن يحمل ذم الشاعر على الشعر لكان ينبغي أن يخص

---

(١) وقال ان كلمة (قصدٌ) معطوفة على (عمد) (٢) أكم من كم البعير اذا شد فاه بالكمام عند هياجه لئلا يعض أو لاجل منعه الأكل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا يعمّ وأن يستثنى فقد قال الله عز وجل (إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا) ولولا أن القول يجر بعضه بعضاً وأن الشيء يذكر بدخوله في القسمة لكان حق هذا ونحوه أن لا يتشاغل به وأن لا يعاد ويبدأ في ذكره اه

﴿ تتمة الاجماع الرابع لجمعية أم القرى ﴾

قد وجد فينا علماء كان أحدهم يطلع في الكتاب أو السنة على أمر أو نهي فيتلقاه على حسب فهمه ثم يعدي الحكم الى أجزاء المأمور به أو المنهي عنه أو الى دواعيه أو الى ما يشاكله ولو من بعض الوجوه وذلك رغبة منه في أن يلتمس لكل أمر حكماً شرعياً فتختلط الأمور في فكره وتشتبه عليه الأحكام ولا سيما من تعارض الروايات فيلتزم الأشد ويأخذ بالأحوط ويجعله شرعاً وبينهم من توسع فصار يحمل كل ما فعله أو قاله الرسول عليه السلام على التشريع والحق كما سبق لنا ذكره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وفعل أشياء كثيرة على سبيل الاختصاص او الجبلية أو العادة ومنهم من توسع فصار لا يرى لزوماً لتضييق معنى الآية أو الالتفات في الحديث اذا كان الأمر من فضائل الأعمال فيأخذ بالأحوط فيعمل به فيقع في التشديد ويظن الناس منه ذلك ورعاً وتقوى ومزيد علم واعتناء بالدين فيلجؤن الى تقليده ويرجحون قوله على غيره

وهكذا عظم التشديد في الدين بالتدريج حتى صار أصراً وأغلالاً فكأننا لم نقبل مامن الله به علينا من التخفيف . وان وضع عنا ما كان على غيرنا من ثقل التكاليف . قال تعالى شأنه وجلت حكمته : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » وقال جلت منته مبشراً « ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم » أي يخفف عنهم التكاليف الثقيلة . وعلمنا كيف نحمده بعد أن بين لنا أنه « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » وهو ان نقول : « ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا » وقال نعلمنا « لا تغالوا في ديننا » وقال ورد في الحديث « لن يشاد الدين أحد الا غلبه » (١) وفي

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة بلفظ « لن يشاد هذا الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا » ورواه غيره أيضاً

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حديث آخر « هلك المتنطعون » (٢) أي المتشددون في الدين وظن بعض الصحابة ان ترك السحور افضل بالنظر الى حكمة تشريع الصيام فنهاهم النبي عليه السلام عن ظن الفضيلة في تركه : وقال عمر رضي الله عنه في حضور رسول الله لمن اراد ان يصل النافلة بالفرض « بهذا هلك من قبلكم » (٣) فقال النبي عليه السلام « أصاب الله بك يا ابن الخطاب » وانكر النبي عليه السلام على عبد الله بن عمرو بن العاص التزامه قيام الليل وصيام النهار واجتناب النساء وقال له « أرَغِبْتَ عَن سُنَّتي » فقال بل سنتك ابتغي قال « فإني أصوم وأفطر وأُصَلِّي وأنام وانكحُ النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » (٤) وقد كان عثمان بن مظعون واصحابه عزموا على سرد الصوم وقيام الليل والاختصاء وكانوا حرموا الفطر على انفسهم ظناً انه قربة الى ربهم فنهاهم الله عن ذلك لأنه غلوٌّ في الدين واعتداء في شرع فانزل « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » أي أنه لا يحب من تعدى حدوده وما رسمه من الاقتصاد في أمور الدين : وقد ورد في الحديث الصحيح قوله عليه السلام « والذي نفسي بيده ما تركت شيئاً يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا أمرتكم به وما تركت شيئاً يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا نهيتكم عنه » (٥) فاذا كان الشارع يأمرنا بالتزام ما وضع لنا من الحدود فما معنى نظرنا الفضيلة في المزيد وورد في حديث البخاري « ان أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يُحَرَّمْ فَحُرِّمَ من أجل مسألته » (١) وبمقتضى هذا الحديث نقول ما أحق بعض المحققين المتشددين بوصف المجرمين . وهذه مسألة السواك مثلا فانه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها انه قال « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك » (٢) فهذا الحديث مع صراحته في ذاته ان السواك لا يتجاوز حد الندب جعله الأكثرون سنة وخصصه بعضهم بعود الأراك وعمم بعضهم الاصبع وغيرها بشرط عدم الإدماء وفصل بعضهم انه اذا قصر عن شبر وقيل عن فتر كان مخالفاً للسنة وتفنن آخرون بان من السنة ان تكون فتحته مقدار نصف الابهام ولا يزيد عن غلظ اصبع وبين بعضهم كيفية استعماله فقال يسند بباطن راس الخنصر ويمسك بالاصابع الوسطى ويدعم بالابهام قائلاً . وفصل بعضهم ان يبدأ بادخاله مبلولا في الشدق الأيمن ثم يراوحه ثلاثاً ثم يتقل وقيل يتمضمض ثم يراوحه ويتمضمض ثانية وهكذا يفعل مرة ثالثة وبحث بعضهم في أن هذه المضمضة هل تكفي عن سنة المضمضة في الوضوء ام لا ومن قال لا تكفي حتج بنقصان الغرغرة : واختلفوا في أوقات استعماله هل هو في اليوم مرة أو عند

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كل وضوء أو عند تلاوة القرآن ايضاً حتى صاروا يتبركون بعود الأراك يخلاون به الفم يابساً والبعض يعدون له كثير من الخواص منها انه اذا وضع قائماً يركبه الشيطان والبعض خالف فقال بل اذا التوى يورث مستعمله الجذام : ويتوهم كثير من العامة ان السواك بالاراك من شعائر دين الاسلام الى غير هذا من مباحث التشديد والتشويش المؤديين الى الترك على عكس مراد الشارع عليه السلام من الندب الى تعهد الفم بالتنظيف كيفما كان

ثم قال « العالم النجدي » هذا ما ألهمني ربي بيانه في هذا الموضوع وربما كان لي فيه سقطات ولا سيما في نظر السادات الشافعية من الاخوان كالعلامة المصري والرياضي الكردي لأن غالب العلماء الشافعية يحسنون الظن بغلاة الصوفية ، ويتمسون لهم الاعذار وهم لاشك أبصر بهم منا معاشر أهل الجزيرة لفقدانهم بين أظهرنا كلياً وندرتهم في سواحلنا ولولا سياحتي في بلاد مصر والغرب والروم والشام لما عرفت اكثر ماذكرت وانكرت الا عن سماع ولكنت اقرب الى حسن الظن ولكن مابعد العيان لتحسين الظن مجال وما بعد الهدى الا الضلال فنسأل الله تعالى ان يهدينا سواء السبيل

فاجابه « العلامة المصري » : ان أكثر الصوفية من رجال مذهبنا ونحن معاشر الشافعية نتأول لهم كثيراً مما ينكره ظاهر الشرع ونلتمس له وجوها ولو ضعيفة لاننا نرى مؤسسي التصوف الأولين كالجنيد وابن سعيد من أحسن المسلمين حالا وقالا . وفيما يلوح لي ان منشأ ذلك فينا جملة أمور منها كون علماء الشافعية بعيدين عن الامامة والسياسة العامة الا عهداً قصيراً . ومنها كون المذهب الشافعي مؤسساً على الأحوط والأكمل في العبادات والمعاملات أي على العزائم دون الرخص : ومنها كون المذهب مبنياً على مزيد العناية في النيات . فالشافعي في شغل شاغل بخويصة نفسه وهم مستمر من جهة دينه ومحمول على تصحيح النيات وتحسين الظنون ومن كان كذلك مال بالطبع الى الزهد والاعجاب بالزاهدين وحمل أعمال المتظاهرين بالصلاح على الصحة والاخلاص بخلاف العلماء الحنفية فانهم من عهد أبي يوسف لم ينقطع تقابهم في النظر في الشؤن العامة في عموم آسيا وكذا المالكية في الغرب وأمارات أفريقيا والحنابلة والزيدية في الجزيرة ومن لوازم السياسة الحزم وتغليب سوء الظن واتقان النقد والأخذ بالجرح ومحاكمة الشؤن لاجل العمل بالاسهل الأنسب

وقد امتاز أهل الجزيرة في هذا الخصوص بانهم كانوا ولا يزالون بعيدين عن التوسع

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في العلوم والفنون وهم لم يزالوا أهل عصبية وصلابة رأي وعزيمة ، وقد ورد قول النبي عليه السلام فيهم « ان الشيطان قد أيس أن يعبده المسلمون في جزيرة العرب ولكن في التحريش » (١) أي اغراء بعضهم ببعض وكذلك أهل الجزيرة لم يزل عندهم بقية صالحة كافية من السليقة العربية فاذا قرأوا القرآن أو الحديث أو الأثر أو السيرة يفهمون المعنى المتبادر باطمئنان فينفرون من التوسع في البحث ولا يعيرون سمعاً للاشكالات فلا يحتاجون للتدقيقات والابحاث التي تسبب التشديد والتسويش ، وأما غيرهم من الأمم الاسلامية فيتلقون العربية صنعة ويقاسون العناء في استخراج المعاني والمفهومات ومن طبيعة كل كلام في كل لغة أنه اذا مخضته الأذهان تشعبت وتشتت فيه الافهام

وربما جاز أن يقال في السادة الشافعية ولا سيما في علماء مصر منهم أن انطباعهم على سهولة الانقياد سهل أيضاً دخول الفنون الدينية المستحدثة عليهم ودماثة أخلاقهم تأبى عليهم اساءة الظن ما أمكن تحسينه فلذلك حازت هذه الفنون التصوفية المستحدثة قبولا عند علماء الشافعية الأولين

هذا وحيث قلنا ان من خلق المصريين سهولة الانقياد ولا سيما للحق وكذلك علماء الشافعية الأكراد كلهم أهل نظر وتحقيق فلا يصعب حمل الشافعية على النظر في البدع الدينية خصوصاً ما يتعلق منها بمظلمات الشرك الجالب للمقت والضنك ولا شك أنهم يمتثلون أوامر الله في قوله تعالى (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) وقوله تعالى (اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) هذا وكثير من علماء الشافعية الأقدمين والمتأخرين المتصرين للمذهب السافي السديد ، المقاومون للبدع والتشديد ، والحق ان التصوف المتغالي فيه لا تصح نسبته لمذهب مخصوص فهذا الشيخ الحيلي رضي الله عنه حنبلي وصوفي

قال (الاستاذ الرئيس) ان أخانا العالم النجدي يعلم أن ما أفاض به علينا لأعبار عليه بالنظر الى قواعد الدين وواقع الحال وكفى بما استشهد به من الآيات البينات براهين دامغة ، ولله على عباده الحجة البالغة ، وعبارة التردد التي ختم بها خطابه يترك بها الحكم لرأي الجمعية ماهي الا نزعة من فقد حرية الرأي والخطابة فأرجوه وأرجو سائر الاخوان الكرام أن لا يتهيبوا في الله لومة لائم ورأي كل منا هو اجتهاده وما على المجتهد سبيل وليعلموا أن رائد جمعيتنا هذه الإخلاص فالله كافل بنجاحها وغاية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كل منا إعزاز كلمة الله والله ضامن إعزازه قال تعالى «ان تنصروا الله ينصركم»

نعم هـذا النوع من الارشاد أعني الانتقاد على الاعتقاد هو شديد الوقع والصدع على التائهين فى الوهلة الاولى لأن الآراء الاعتقادية مؤسسة غالباً على الوراثة والتقليد دون الاستدلال والتحقيق وجارية على التعاون دون التقانع . على أن أعضاء جمعيتنا هذه وكافة علماء الهداية في الأمة يشربون والحمد لله من عين واحدة هي عين الحق الظاهر الباهر الذي لا يخفى على أحد فكل منهم يختالج في فكره ما يخالج فكر الآخرين عينه أو شبهه لكنه يهيب التصريح به لغلبة الجهل على الناس واستفحال أمر المدلسين ويخاف من الانفراد فى الانتقاد ، فى زمان فشا فيه الفساد ، وعم البلاد والعباد ، وقل أنصار الحق ، وكثر التخاذل بين الخلق ،

ويسرني والله ظهور الثمرة الاولى من جمعيتنا هذه أعني اطمئنان كل منا على اصابة رأيه واطلاعه على أن له فى الآفاق رفاقاً يرون ما يراه ، ويسيرون مسراه ، فيقوى بذلك جنانه ، وينطلق لسانه ، فيحصل على نشاط وعزم فى اعلاء كلمة الله ويصبح غير هيّاب لوم اللائمين ، ولا تحامل الجاهلين . ومن الحكمة استعمال اللين والتدريج والحزم والثبات فى سياسة الارشاد كما جرى عليه الانبياء العظام عليهم الصلاة والسلام وقد بسطت ذلك فى اجتماعنا الأول وسنلاحظه فى قانون الجمعية الدائمة الذي نقرره ان شاء الله بعد استيفاء البحث في طريقة الاستهداء من الكتاب والسنة في اجتماعاتنا الآتية أما اليوم فقد انتهى الوقت وانتصف النهار

باب التربية وطرق التعليم

﴿ قوانين التعليم الرسمي — انتقاد ﴾

(النبذة الرابعة تعليم اللغة والتاريخ والعلوم)

انتقدنا في النبذ السابقة قانون التعليم الرسمي من حيث تعليم الدين ووددنا لو نعلم لنظارة المعارف عذراً نعذرها على تلك العيوب وضروب القصير ونتكلم في هذه النبذة على تقصير القانون فيما يتعلق بتعليم اللغة العربية لغة الأمة والبلاد وتعليم التاريخ والعلوم

العيب العام الأكبر هو ماجاء في عرض كلامنا على افتراح الجمعية العمومية أعني مزاحمة اللغة الأجنبية للغة البلاد في التعليم الابتدائي وقد خرجت نظارة معارف

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مصر في هذا عن سنة أمتها الاوربيين كلهم فهي لاتجد لها دولة أوربية تقتدي بها . ولم تكتف بتعليم قواعد اللغة الاجنبية ومباديها بل زادت على ذلك تعليم مباديء العلوم بها فالتاريخ الطبيعي يبتدأ به في السنة الثانية وله درس واحد في الاسبوع يقرأ بالعربية ثم يقرأ في السنتين الثالثة والرابعة باللغة الأجنبية وله فيها درسان في كل أسبوع فكأن دروس السنة الثانية تمهيد لما بعدها فتكون لغة البلاد وسيلة لامقصدا . وكذلك الحال في علم تقويم البلدان الا ان دروسه في الثالثة والرابعة ثلاثة في كل أسبوع .

ومن نظر في جدول توزيع حصص الدروس في التعليم الثانوي لايري بازاء خصوط اللغة العربية من الجدول الا النقط والاصفار فالعلوم كلها تقرأ باللغة الاجنبية وهي الحساب والهندسة والجبر وتقويم البلدان والتاريخ والطبيعة والكيمياء والرسم . وكأن « الضمانات الخمس » التي قدمها ناظر المعارف لنواب الامة في الجمعية العمومية هي التي جعلت دروس الترجمة من حصص اللغة العربية في الجدول الابتدائي والثانوي ليزيد العدد فتقنع الامة بان لغتها قد اعتني بها وادخلت فيها العلوم والفنون ولكن هذا غش وخداع فان الترجمة كما تكون من اللغة الاجنبية الى العربية تكون بالعكس والعناية الكبرى فيها باللغة الاجنبية ومعلموها هم معلمو اللغة الاجنبية وأكثرهم غير بارع بالعربية فكان الاقرب الى الصواب ان تعد الترجمة من دروس اللغة الاجنبية . فدروس الاسبوع في التعليم الثانوي ٣٣ درساً ثمانية منها للغة العربية نفسها (النحو والصرف والبلاغة) والباقي للغة الانكليزية تسعة لنفس اللغة وواحد للترجمة والباقي للعلوم . ومما يدل على ان حصص الترجمة تعد من دروس اللغة الاجنبية إهمال الكلام عليها في الفصل الذى يشرح كيفية تعليم العربية من القانون وذكرها في الفصول التي يشرح فيها كيفية تعليم اللغة الاجنبية

الأمور التي تهم الامة في التعليم وتود انضمان عليها ثلاثة — الدين وهو في المرتبة الأولى واللغة وهي في المرتبة الثانية والتاريخ وهو في المرتبة الثالثة . فأما الدين فقد بينا وجوه تقصير المعارف فيه وجعله كالرسم الدارس

وأما اللغة العربية فتقصيرها فيها من وجهين أحدهما نسبي وهو جعلها دون اللغة الأجنبية والواجب أن تكون فوقها وثانيهما عدم تعليم العلوم والفنون بها والواجب أن تجعلها لغة العلم لأن الأمة لاتحيا حياة حقيقية الا بجعل لغتها لغة العلم ليتسنى بذلك تعميم العلم فيها فتكون حياتها العلمية عمدة لحياتها المعاشية والقومية . واذا نحن جعلنا للعلم لغة ولسائر الشؤن لغة أخرى نكون قد جعلنا في مقومات حياة الامة تنازعا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ينفصل العلم عن العمل ولا يمكن أن يكون العلم مرشداً الى العمل والعمل منبعثاً عن العلم الا اذا كان العامل عالماً ونتيجة هـذا من غير تطويل بشرح المقدمات أن أحد الأمرين واجب لكمال الحياة إما نقل العـلم الى لغة الامة وهو المعقول المقبول واما نقل الأمة الى لغة العلم الطارئ وهذا إعدام للأمة وجعلها غذاء وعمدة الأمة التي تنتقل الى لغتها وما اخال أن ناظر المعارف ورجال «ضماناته الخمس» من أمته يرضون بذلك سرًّا وجهراً فان كان هم من الأمر شيء فليعلموا أبناء الأمة العلوم بلغتها وان كانوا مغلوبين على أمرهم للمستر دنلوب ومن ينصره فلا يعارض ناظر المعارف الجمعية العمومية في طلبها عرض قوانين المعارف على مجلس الشورى ولا يكابر نفسه وقومه بزعمه ان قوانين نظارته موافقة لمصحة الأمة ومؤيدة منها «بخمس ضمانات» !!

وأما التاريخ فهو عند جميع الامم الحية قوام التربية الاجتماعية به تنفخ روح محبة الجنس والامة والوطن في الناشئين فبتعليم التاريخ كانت المانيا المانيا وانكلترا انكلترا وفرنسا فرنسا فالغرض الأول من علم التاريخ معرفة الانسان أمته أو معرفته نفسه من حيث هو أمة ثم معرفته سائر الأمم ليعرف مكانه منها ومكانها منه وبذلك يحصل الانسان العلم النافع الذي هو غاية كل تربية وتعليم وهو الذي عرّفه حكيمنا الامام بقوله « العـلم ما يعرّفك من أنت ممن معك »

اذا كان هذا هو الغرض من التاريخ فقد أصابت الامم الاوربية بتلقين الناشـئين في أول الأمر تاريخ أمتهم مفصلا تفصيلا وجعلهم تاريخ بقية الامم في الدرجـة الثانية فالتلميذ عندهم لا يعرف شيئاً من عظمة غير قومه وأمته الا بعد أن يشرب قلبه عظمة سلفه وحبهم وحب بلادهم . ويقال ان أكثر الالمانيين لا يكادون يتعلمون شيئاً عن غير بلادهم وأمتهم الا إجمالا لأن الواجب في رأيهم على كل انسان ان يعرف نفسه وقومه الذين سعادته بسعادتهم وشقاؤه بشقائهم . وأما معرفة أحوال بقية الامم فانما تجب على طائفة من الناس كالذين يتصدون للسياسة وللتعليم ونحو ذلك مما يحتاج فيه الى معرفة تاريخ الآخرين وأحوالهم

على هذا كان الواجب على نظارة معارفنا أن تجعل تاريخ الاسلام والسيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين في مقدمته هو أول ما يغرس في نفوس تلامذتنا وأن تتوسع في تاريخ جميع الدول الاسلامية وبيان أسباب تقـدمها وتأخرها حتى تنتهي بالدولة العثمانية والبلادُ المصرية جزء منها وبعد هـذا كله تلقن التلامذة بالإجمال تاريخ سائر الامم لاسيما المجاورة للممالك الاسلامية ليعرفوا نسبتهم الى قومهم ونسبة قومهم اليهم .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ما أدت نظارة المعارف هذا الواجب ولا رعته حق رعايته فانها لم تعتبر جنسية قومها في الدين ولا في اللغة ولا في الحكومة (وهي العثمانيـة) ولكنها اعتبرت أن جنسيتها نسبتها الى مصر وان سلف هذه الامة الغريبة هم الفراعنة والرعاة واليونان والرومان والعرب وخلفها الترك فهي والأوشاب تعلم التلامذة في الطور الابتدائي تاريخ هذه الأمم الكثيرة بهذا الترتيب .

وأما تعليم التاريخ في القسم الثانوي ففي السنة الاولى منه يعلمون تاريخ الرجال وذكرهم في القانون وليس فيهم مسلم ولا عربي الا محمد علي باشا واسماعيل باشا أميري مصر . وفي السنة الثانية اقسام (١) الدولة الرومانية (٢) الدولة الانكليزية ٣٠ الحروب الصليبية ٤٠ الدولة العثمانية ٥٠ عظم دولة اسبانيا وفيها الاصلاح المسيحي ٦٠ عظم فرنسا (٧) ارتقاء الروسيا وفيه تاريخ المسئلة الشرقيـة وما فقدته الدولة العثمانيـة من أملاكها وتقلب روسيا عليها واضعافها...(٨) ارتقاء بروسيا (٩) نابليون (١٠) المستعمرات الاوربية . وفي السنة الثالثة أقسام أيضاً (١) قيام أمم أوربا (٢) نمو الحرية السياسية في أوربا (٣) المدنية عند جميع الامم ما عدا المسلمين (٤) تقدم مصر (٥) أسـباب ارتقاء واضمحلال الأمم باختصار . وكل هذا يعلمه الاوربيون بلغتهم فاعتبري أيتها الأمة المصرية ، بضمانات ناظر المعارف الخمس ، واطمئني له ولها . . .

ما أجدر هؤلاء التلامذة بأن يشبوا لايعرفون لهم أمة ولا جنساً ينتمون اليـه ويفتخرون به ويعملون على احياء مجده وتجديد فخره . بل ما أجدرهم بفساد الفطرة التي نراها في بعض احداثهم الذين ينادون بالوطنية المصرية بغير عقل . فان قيل لهم هل الوطني المصري هو من يسكن مصر ويتخذها وطناً قالوا : لا لا ان ممن يسكنها النزلاء الافرنج وهؤلاء يحترمون في الظاهر ويبغضون في الباطن ومنهم الدخلاء العثمانيون من سوريا وغيرها وهؤلاء يمقتون في الظاهر والباطن . وان قيل لهم هل الوطني المصري ما كان من سلائل القبط والفراعنة فيجب أن نبغض من يسكن مصر من سلائل العرب والترك والأرنؤد والجراكسة وان كان حكامنا منهم ؟ قالوا : لا لا ان الجنس القبطي هو شر الاجناس فنسميه وطنيا ظاهراً ولكننا في الباطن نفضل عليه المسلمين المصريين . فان قيل لهم : اذن ان جنسيتكم هي الاسـلام فيجب أن تعتصموا مع كل مسلم من أيّ مملكة كان . قالوا : لا لا ان هذا ينافي (الوطنية الحقة) وأنا لا نعتد الا بالمسلمين المصريين الاصليين لا الذين سكنوا مصر من عهد قريب فهذه الذبذبة والحيرة عند هؤلاء الاحـداث من المسلمين ليس لها سبب أقوى من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا التعليم المذبذب . وظاهر ان نتيجة هذا التعليم الجناية على الرابطة الدينية وعلى الرابطة اللغوية وعلى الرابطة الوطنية لأن هؤلاء الاحداث لايحبون كل أبناء وطنهم بحيث يفضلونهم على سواهم . نعم ان مضرته وفساده في القبط أقل منها في المسلمين فان التبطي المتعصب يقول ان المصري هو القبطي فقط وكل من عداه دخيل . وغير المتعصب يقول ان المصري هو من يقيم في مصر ويتخذها وطناً ينفعها وينتفع منها سواء كان شرقيا أم غربيا مسلما أم مسيحيا . ولا يقول بهذا القول الا أفراد قليلون على أني أحكم بوجودهم بالرأي والتخيل لا بالمعرفة والاختبار

رب قائل يقول ان غرض الحكومة أن تربي الناشئة على هذا الرأي . ونحن نقول ان هذه غاية لاتدرك الا بمحو الدين وذلك متعذر على الحكومة اذا فقدت الدين وأرادت محوه ولكن حكومة البلاد اسلامية والشعب الكبير اسلامي واذا وجدت آداب الاسلام الحقيقية فهي تقتضي الوطنية الحقيقية وهي اتفاق جميع سكان البلاد على مافيه خيرهم وخير بلادهم ومعاملة الجميع بالعدل والمساواة بينهم بالحقوق وقد أوضحنا هذا في مقالة (الجنسية والديانة الاسلامية) فلتراجع في المجلد الثاني والله أعلم

آثار علمية حديثة

﴿ الهدايا والتقاريظ ﴾

(كتاب حاضر المصريين أو سر تأخرهم) كتاب صنفه أحد شبان المصريين النجباء المولعين بالبحث وهو أحمد افندي عمر أحد مستخدمي مصلحة البريد تكلم فيه على حالة المصريين الاجتماعية في معيشتهم وكسبهم وعاداتهم وآدابهم وعلمهم وقد جعله ثلاثة أقسام قسم للاغنياء وقسم للمتوسطين وقسم للفقراء . ولا شك أن المؤلف قد تعب في الوقوف على عادات الطبقات الثلاث في المحبة والزواج والعشرة بين الزوجين وتربية الاولاد وتعليمهم وعاداتهم في النفقة والبذل والاوهام . وفي معرفة أحوالهم في التجارة والزراعة والصناعه والطباعة والكتب والجرائد التي تنشر فيهم . وبحثه في جميع هذه المسائل بحث انتقاد صحيح ينبه الافكار المستعدة الى السعي في اصلاح الخلل واتقاء الزلل . ولا ينفع الناس شيء مثل علم ماهم فيه من نافع وضار

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لذلك نقول ان هذا الكتاب من أنفع ما كتب في العربية في هذا العصر

الكاتب تحرى الصواب وبيان الحقائق بقدر الاستطاعة مع الوقوف عند حدود الادب فإن قصر في بعض المسائل فعذره انه لم يستمد من كتب مؤلفة ينقل عنها بسهولة وانما استمد من المشاهدة والاختبار وان ما تسنى من ذلك له كثير على من كان مشغولا بوظيفة صغيرة كوظيفته تستغرق معظم أوقاته في خدمتها وقد طالعنا جملة صالحة من الكتاب فوافقناه في أبحاثه وقد انتقدنا عليه التقصير في تصحيح عبارة الكتاب وعدم بدئه بالبسملة الشريفة عملا بالحديث الشريف واتباعاً لسنة المسلمين سلفهم وخلفهم. وقد قرظ الكتاب القاضي الفاضل أحمد فتحي بك زغلول رئيس محكمة مصر وأجازه وأثنى عليه وبدأ تقريظه بسنة البسملة على أن العادة لم تجر بذلك وكأنه أراد مع اتباع السنة تنبيه المؤلف على تركها بالعمل دون القول

أقول انني لا أوفي هذا الكتاب حقه في التقريظ الا بنقل بعض فوائده في أجزاء أخرى على أنه هضم حق المنار عند كلامه على الجرائد الدينية فانه لم يكتب عنه الا جملة وجيزة في الهامش اعترف فيها بعناية المجلة بالإصلاح الديني والتنفير عن البدع ولكنه عرّض فيها بنا بأن الأمور الشخصية سبيلا علينا وقد ظهر لنا منه انه رجع عن هذا الرأي والله أعلم بالسرائر وهو الموفق للصواب

(كنز الجوهر في تاريخ الأزهر) كتاب مختصر ألفه الفاضل الشيخ سليمان رصد الحنفي أحد المشتغلين بالعلم في الجامع الازهر الشريف واهل الازهر أجدر الناس بمعرفة تاريخه والتأليف فيه. الكتاب يشتمل على مقدمة ذكر فيها بعثة النبي صلى الله عليه وسلم واستطرد منها الى الفتح الاسلامي الذي كان منه فتح مصر وفيها الكلام على جامع عمرو بن العاص وجامع ابن طولون. ويلي المقدمة خمسة مقاصد أحدها في ابتداء تأسيس الجامع وما عرض عليه بعد ذلك وتجدد فيه وثانيها في أروقة الازهر والمؤسسين لها وثالثها في شيوخ الأزهر وأشهر علمائه لهذا العهد ورابعها في الحوادث الشهيرة كحادثة رواق الشوام في أثناء الوباء وخامسها في عادات أهل الازهر ويتلو ذلك خاتمة في الاحصاء وفيه عدد المشتغلين بالعلم في القطر المصري وبيان مواضعهم

ومما ذكر من عادات أهل الأزهر انه لا يمكن لاحدهم أن يعمل عملا يكتسب به لا في أثناء الاشتغال ولا بعده قال (بل اذا انحل شيئاً يتفع به بعد في أعين أترابه كأنه اقترف ذنباً عظيما) وذكر أن هذه هي علة فقرهم. وذكر أن غير المصريين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من المجاورين في الازهر أحسن حالا من المصريين فى المعيشة والنظافة . وذكر من أسباب وساخة المصريين في ابدانهم وثيابهم وآنيتهم الانهماك في الطلب ومايقع بين المشتركين منهم في المعيشة من العناد والتواكل وفاته ان يبين ان الاشتراك هو الذى يساعد على النظافة لتوزيع الاعمال وان الوساخة واختلال نظام المعيشة يشوش الذهن ويضعف العقل فلايفيد معه الانهماك في الطلب كثيراً. قال : «وأما عادتهم في الاكل وهو غالب اكل المجاورين فهو فول مدمس ونابت وطعمية ومخللا وكراثاً وغير ذلك من الاشياء التافهة لفقرهم بلا فرق بين مصري وغيره وكذلك غالبهم يقوم بعمله بنفسه كغسل ثياب وطبخ وغير ذلك» هذه عبارته بحروفها ويسوءنا جدا مانراه فى الكتاب مثلها من كثرة الغلط والخطأ

ثم ذكر كيفية القاء الدروس والمطالعة قال (واعتنائهم فيها بفهم العبارات وحل التراكيب والمناقشات بالاعتراضات والاجوبة عنها والاطلاق والتقييد والمفهوم والمنطوق وغير ذلك من غير اعتناء بالحفظ فتجد كثيراً منهم بحرا العلوم في الفهم في الكراس واذا سئل من خارج فقل ان يجيب لعدم استحضاره) اه بالحرف أيضاً والكلام صحيح وصريح في انه لاعناية عندهم بتحصيل ملكة العلم وتكيف النفس بها بحيث تكون قادرة على الكلام فى المسائل عند السؤال والمناسبة وانما العلم الذي يكونون فيه بحاراً زاخرة هو المناقشة في عبارات الكتب التى يقرؤنها واعادة ما كتبه الشراح وأصحاب الحواشي على المتون قراءة

وبالجملة ان فى الكتاب فوائد لاتوجد في غيره من المصنفات في تاريخ الازهر التي هي أوسع منه وأحسن تحريراً وصفحات الكتاب تزيد على ٢٠٠ وثمنه خمسة قروش ويطلب من جميع المكاتب المشهورة بمصر والاسكندرية وطنطا فنحث على قراءته

(شذا العرف . في فن الصرف) كتاب صنفه الاستاذ الفاضل الشيخ أحمد الحملاوي مدرس العربية في مدرسة دار العلوم سابقاً. وقد تصفحت بعض أوراقه ورأيت تقسيمه وتبويبه فظهر لي انه أحسن كتاب لتعليم هذا الفن . وكان طبع في سنة ١٣١٢ باذن نظارة الداخلية بناء على شهادة الشيخ الانبابي شيخ الجامع الأزهر لذلك العهد بصحته وخلوه من الخطأ . وقد طبع فى هذه السنة طبعة ثانية بالمطبعة الاميرية بعد تنقيح واضافة كثير من الامثلة والشواهد وهذا من مزايا الكتاب فنحث كل طالب لفن الصرف على قراءته

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(كتاب الحساب) كتاب يؤلفه الفاضل عوض أفندي خليل مؤسس وناظر مدرسة الاجتهاد الوطنية ببولاق وصاحب مجلة السمير الصغير المدرسية . وقد أصدر الجزء الاول منه وأودعه ماهو مقرر للتعليم فى السنة الاولى الابتدائية بحسب قانون التعليم فى المعارف (البروغرام) فنحث التلامذة على الاستفادة منه

(المستطرفات) كتاب وضعه الاديب ابراهيم أفندي زيدان جمع فيه من كتب الأدب والتاريخ كثيراً من النوادر الأدبية والفكاهية والقرامية وطبع فى مطبعة الهلال على نفقة مديرها الهمام متري أفندى زيدان وثمن النسخة منه خمسة قروش ويطلب من مكتبة الهلال وهو مما يرغب فيه الناس فلا حاجة الى الترغيب فيه

(كتاب رسائل ارشاد الأفكار . الى طريق الابرار) للشريف منصور أفندى رئيس جمعية التعاون الاسلامي . وقد كتب هذه الرسائل فى مسائل سئلها فاجاب عنها بفهمه واجتهاده على طريقة المتصوفة وقد تصفحنا بعض صفحاتها فعلمنا منها اننا نخالفه في بعض مسائلها ولا سعة معنا في الوقت الآن لقراءتها وبيان مارأيناه صوابا وما نراه منتقداً وربما يسمح لنا الوقت بذلك بعد

باب الأخبار والآراء

﴿ حرب فرنسا والسنوسي ﴾

كتب بعض كبار التجار في طرابلس الغرب الى صديق له في بعض البلاد وكان سأله عن أخبار بلادهم مانصه بحروفه :

«وردلنا جواب من بُومَه تاريخ ١٩ ماى افرنجي ووصل لطرفنا تاريخ ١٤ ربيع اول سنة ١٣٢٠ قال فيه بعد السلام : . وبعد أخي فقد تم البحث الذى وقع علي كما اخبرتك في شأن سيدى المهدي (يعني الشيخ السنوسي) ولما ان كانت نيتي طبق الاحسان والصدق مع الله تعالى وخلقه سَلِمْتُ والحمد لله على كل حال . والآن انا سافرت الى فرانسه ثم ارجع الى قسطنطينه الجزائر ثم اسافر من هناك ثانياً فالمطلوب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من فضلك الكريم ان تجعل لنا جوابا على كل مسئلة داخل جوابنا هذا وتسأل خليفة سيدي المهدي ولا تذكر لي الا الخبر الصحيح

اولا : ماهي الاخبار الواردة لكم من ناحية ° داركانم . و . البركو . وزاوية الشيخ سيدى المهدى بعد ماوقع من الحرب بين الفرنسيس وعرب أولاد سليمان والتوارق واستيلاء فرانسه على . بير هلالى .

ثانياً : هل يرضى الشيخ سيدى المهدى بالصلح مع دولة فرانسه بواسطتي فان كان يقبل وان كان غرضه العافية لصلاح الجميع فخبرني بذلك فاكلم الدولة الفرنساوية ويكون الخير ان شاء الله وان كان نيته الحرب مع فرانسه والجهاد خبرني وانصحني وقل للخليفة يعرفك بالحقيقة ولا يستخوش مني أبداً . لابد تعرفني بحقيقة الامر . وان وجب السفر الى طرابلس فعرفني أقدم الى طرفكم ؟

ثالثاً : ما بلغ اليكم من أخبار واداي ؟

رابعاً : ماهي أحوال اخوان طريقة سيدي المهدي مع دولة الأتراك هل اعتقاد الاخوان مثل الزمان الاول أم لا ؟

خامساً : من مات من الأعيان في المحاربة التي وقعت فى بير هلالى ؟ علمي بذلك الشيخ سعد البراني والشيخ غيط والشيخ شرف الدين وغيرهم اه

قال التاجر: « حاصله : وقعت محاربة كبيرة بين دولة فرنسه والشيخ سيدي المهدي وأكلتها دولة فرنسه وأن الجواب الوارد لنا هو من نفس مهندس طائفة فرنسه نحن نرسله الى جغبوب ونحكي لهم بالكيفية وهم يعرفون شغلهم بنا ينصر الإخوان على القوم الكافرين . وبر السوادين واقع فيه حرب واليوم صار لدولة فرنسه مع المهدي مثل ما صار للانكليز مع الترانسفال ندعو الله أن يهلك دولة فرنسه . وأرسلنا جواب الى رحب خوجه المذكور وعرفناه هذه المسئلة لاتهمنا والسلام اه مكتوب التاجر

والقارئ لهذا المكتوب يظهر له انه كتب عن معرفة وانه صدق لاشبهة فيه ولكن فيه شيئاً من الإبهام . قال الذي أرسل صورته الينا : حبذا لو علمنا من هو صاحب التحرير المرسل الى التاجر وأين هي بلدة بُوَمَة ؟ وما معنى قوله : تمّ البحث الذي وقع عليّ ؟ وقد ذكر التاجر صاحب المكتوب انه مهندس طائفة فرنسا وسماه رحب أو رجب خوجه . فما هذا السر ؟ هل الرجل مسلم كما يظهر من كلامه أو مسلم جغرافي (كما تقولون فى المنار) يريدان ينتفع من فرصة الخلاف بين السنوسي وفرنسا ؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

او هو مسلم من مسلمي الجزائر وتونس موظف عند فرنسا ويريد أن يخدمها ويخدم سيده المهدي ؟ وربما كان قوله « تم البحث » الخ اشارة الى أنهم فتشوا عليه لكونه جاسوساً من قبل المهدي أو متهماً بالتجسس . والذي حماني على هذا الظن قوله في آخر الجملة (سَلِمتْ) . ويفيد قوله : (وتسأل خليفة سيدي المهدي) أن للمهدي خليفة مقيما في طرابلس الغرب . والذي يجعل في النفس ريبة من قول صاحب المكتوب هو قوله : « ولا يستخوش مني أبداً » وقوله : « ماهي أحوال الإخوان مع دولة الاتراك » الخ

أما نحن فنعلم أن للسيد المهدى السنوسي خلفاء في طرابلس وكل بلاد افريقية الشمالية والوسطى وصحاريها ونرجح أن المهندس صاحب المكتوب جاسوس فرنسي كما انه مهندس ولذلك لم يجاوبه التاجر عن أسئلته

﴿ مسيح الهند والمنار ﴾

سبق لنا رد على القائم في الهند المدعي انه المسيح الموعود به وعلى كتابه الذي سماه اعجاز المسيح ، وان كان قوله كالريح . وسجعه دون سجع شق وسطيح ، وقد ترجمت رد المنار عليه الجرائد الهندية ، واذاعته في تلك الممالك القصية . فاستشاط الرجل غضباً ، وملأ النواحي سبابا وصخباً . والمؤمن ليس بسباب ، ولابذئ ولاصخاب ، فهل يكون المرسلون والمسحاء ، من أهل السفه والبذاء ، وهل ينزل الوحي على أهل الالهام ، وتقام الحجة على الأنام . بالسخرية والاستهزاء ، والقول الهراء ، والانتصار للنفس ، ومكابرة الحس ، والتنفج والتبجح ، والتجرم والتذقح ، كما فعل هذا المدعي في الكتاب الذى لفقه في الرد على « المنار » ، فكان مجابة الحزي والعار وقد سماه « الهدى والتبصرة لمن يرى » ، وماعهدت الهداية بشتم الورى ،

بعد أن أهدى الينا كتابه ، وارسل شتمه وسبابه ، كتب الينا أحد كبار علماء الهند من لاهور كتاباً يشكو فيه من انتشار البدع في الهند وقال فيه « الآفة التي لاتذكر ، والعاهة التي لاتستطر ، هي فتنة المسيح الدجال الهندي الشهير بميرزا غلام أحمد القادياني ، فهي لاتنقطع كسير السواني ، وهو في زعمه الباطل مجدد مهدي ملهم محدَّث مسيح مرسل امام عند شرذمة قليلين . ماهم من دنيا ولادين ، والحق انه رجل ختال ختار ، بطّال شطار ، يدعي الوحي والنبوة ، ويثبت للمسيح النبوّة ، ويحرف

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

آيات القرآن بتأويلات فاسدة ، ويتخبط في أحاديث التي بمخزعبلات كاسدة ، » ثم ذكر هذا العالم مجادلته لعلماء الهند وافحامهم اياه وانصرافه لدعوة العلماء في غير الهند ومنهم الفقير صاحب المنار وانتقل من هنا الى ذكر ردّنا على كتابه (اعجاز المسيح) وذكر ان الجرائد الهندية نقلته عن المنار ، وكان له شأن في تلك الديار ، أثار من ذلك المدعي اشجانه . وأطاق بالسب لسانه ، ثم رغب الينا في الرد عليه وقال : « فان لتحريركم وقعاً في النفوس ، أشد من حرب البسوس ، » .

نعم ان من وظيفة المنار الرد على أمثال هذا المدعي ، ولو لم يرغب الينا فيه ذلك العالم الأممي . ولكن الرد انما يكون على الشبهات ، التي تساق مساق البينات . وليس لهذا المدعي شبهة يستند اليها . ولا تكأة يتوكأ عليها . الا ذلك المؤلف الذي هو حجة عليه . بل سهام منه تصوب اليه . فقد ادعى انه معجز للبشر . لا تأتي بمثله القوى والقدر ، فما هو وجه الإعجاز فيه . الذي جعله عمدة تحدّيه ؟ . ان قال ان العمدة . هي قصر المدة . فاني ألفته في سبعين ، ولا يقدر على مثل ذلك أحد من العالمين ، نقول : أولا اننا لا نصدقك في هذا التحديد على انه طويل . فهل لك عليه من بينة ودليل . وثانياً ان كثيراً من العلماء ألفوا كتباً طويلة . في مدة قليلة . ولم يدعوا أن ذلك من المعجزات . لأنه ليس من خوارق العادات . فالقناري ألف شرحه على الايساغوجي في يوم من أقصر الأيام . ولم يخد به أحداً من الأنام . وثالثاً اننا نطالب منه محكمين من أهل الانصاف . يرضى بهم كل منا ومنه للحكم في مواضع الخلاف . وعند ذلك نظهر له أغاليط كتابه في اللفظ والفحوى . والعاقبة كما قال الله تعالى للتقوى . ليعلم الناس أن تحدي النبوة والرسالة . لا يكون بالخطأ والجهالة . وان ادعاء اقامة الدين وتأييد الشريعة . لا يكون بتقويض أركانهما الرفيعة . وتشويه محاسنهما السنية السنيمه . وان إصلاح نفوس المسلمين . لا يكون بشتم العلماء والمرشدين . وسنعجل قبل تعيين المحكمين باظهار بعض ما خالف فيه شريعة خاتم النبيين . وموعدنا الجزء الآتي

أما الآن فاننا نذكر بعض عباراته في الرد علينا . وما وجه من الطعن الينا . ليعلم القراء مبلغ آدابه . وعساطته في خطابه . قال بعد مازعم أنه آثرنا بكتابه (اعجاز المسيح) على علماء الحرمين والشام والروم مانصه :

« ثم لما بلغ كتابي صاحب المنار . وبلغه معه بعض المكاتيب للاستفسار . ما اجتنى ثمرة من ثمار ذلك الكلام . وما انتفع بمعرفة من معارفه العظام . ومال الى الكلم والايذاء بالاقلام . كما هو عادة الحاسدين والمستكبرين من الانام . وطفق يؤذي ويزري

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

غير وان في الازراء والانتظام ، ولا لاوالى الكرم والاكرام ، كماهو سيرة الكرام ، وعدان يؤلمني ويفضحني في أعين العوام كالانعام ، فسقط من المنار الرفيع والقى وجوده في الآلام ، ووطئني كالحصى ، واستوقد نار الفتن وحضى ، وقال ما قال وما أمن كأولى النهى ، وأخلد الى الارض وما استشرف كأولى التقى . وخرّ بعد ما علا ، وان الخرور شيء عظيم فما بال الذى من المنار هوى ، واشترى الضلالة وما اهتدى ، أم له في البراعة يد طولى ، سيهزم فلا يرى . نبأ من الله الذى يعلم السر وأخفى

ثم قال : « وكنت رجوت ان أجد عندك نصرتي ، فقمت لتندد بهواي وذلتي ، وتوقعت ان يصلني منك تكبير التصديق والتقديس ، فأسمعتني أصوات النواقيس ، وظننت ان أرضك أحسن المراكز ، فجرحتني كالاكز والواكز . وذكرتني بالنوش والنهش والسبعية ، نبذاً من أيام الخصائل الفرعونية . ولست في هذا القول كالمتندم ، فان الفضل للمتقدم . وكنت أتوقع ان يتسرى بمواخاتك همي ، ويرفض بجندك كتيبة غمي ، فالأسف كل الأسف ان الفراسة اخطأت ، (أى فلم يصدق عليه حديث اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » لانه ينظر بظلمة غروره) والروية ماتحققت ، وجدت بالمعنى المنكس ريّاك ، (وهنا اشارة قبيحة تليق بقائلها ولا تليق بنزاهة من يلهمهم الله تعالى لهداية خلقه) فهذه نموذج بعض مزاياك . (أنت النموذج وكم مذكرا) وعلمت ان تلك الارض أرض لايفارقها الاظمى ، وتفورمنها الى هذا وقت نار الكبر المعلى . فعفى (كذا) الله عن موسى ، لم تركها وما عفّى . (وههنا الأدب أدب أبي موسى الكليم ونسب اليه الخطأ والذنب والتقصير على ان تعفيه مصر واهلاكها بيد الله لابيده عليه السلام)

ثم قال بعد مكابرة في ردنا على كتابه ونسبته للغلط والتكلف مانصه : « وحسبتك حبيباً يرمحني كنسيم الصباح ، فرأيت كمدوشاكي (كذا) السلاح ، وخلت انك تهدر بصوت مبشر كالحمام ، فأريت وجهك المنكر كالحمام ، وأعجبني حدتك وشدتك من غير التحقيق (كذا) . فأخذني مايأخذ الوحيد الحائر عند فقد الطريق ، لكني اسرعت الامر وقلت في نفسي لعله تصحيف في التحرير . وما عهدك الى التوهين والتحقير . وكيف قصدك شراً لايزول سواده بالمعاذير . وكيف يمكن الجهر بالسوء من مثل هذا التحرير ، (يذم ويمدح) ولما تحققت انه منك تقلدت اسلحتي للجهاد ، وقلت مكانك يا ابن العناد ، وعلمت أنك ماتكلمت بهذه الكلمات ، الا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حسداً من عند نفسك لا لاظهار الواقعات . (اني لا أدعي المسيحية فاحسده على دعواها ولاشيء آخر يحسد عليه) فابتدرت قصدك . لئلا يصدق الناس حسدك ، فان علماء ديارنا هذه يستقرون حيلة الازراء . فيستفزهم ويجرءهم علي كلما قلت للازدراء ، ولولا خوف فسادهم لسكت . وما تفوهت وما تجلدت . ولكن الآن أخاف على الناس . وأخشى وسوسة الخناس ، وان بعض الشهادات . أبلغ من الضرب بالمرهفات ، فاخاف أن يتجدد الاشتعال من كلمات المنار . ويسقط ميمه ويبقى على صورة النار . »

ثم ادعى انه كان غلب علماء الهند وسرق سجعات من كلام الحريري وقال «فالآن أحيي الثائم بعد الممات . وشد المنار عضدهم بالخزعبلات . (كذا) فأرى انهم يتصلفون . ويستأنفون القتال . ويبغون النضال ويخدعون الجهال . ورجعوا الى شرهم وزادوا عندا . بما جاء المنار شيئاً ادّا . وجاز عن القصد جدا . (كذا بالزاي والحريري استعملها بالراء من الجوْر) فأكبر كلمه حزب من العمين . الخ

ثم ذكر انه كثيراً ما كان يغضي عن المعترضين والمازدرين وقال : «ولكن رأيت أن صاحب المنار ، عظّم في عين هذه الاشرار . (كذا) وأكبر شهادته بعض زاملة النار . وكانوا يذكرونها بالغمز واللمز . فبلغني ما يتخافتون . وعرفت على ما يسرون ويأتمرون . وأخبرت أنهم يضحكون علي وفي كل يوم يزيدون . » — الى أن قال في صاحب المنار . : «بل أصرّ على الإزراء في الجريدة . فأكل الحاسدون حصيدة لسانه كالمصيدة . وتاقفوا قوله وجددوا الخصومة بعد ما قطعوها كما هو من شيم القرائح البليدة . وحسبوا كلمه كالاسلحة الحديدة . وأشاعوها في الأخبار (الجرائد) والجوائب الهندية . وكتبوا كلما يشق سماعها على الهمم البريئة المبرءة . وآذوا قلبي كما هي عادة الرذل والسفهاء . وسيرة الأراذل من الأعداء . » ثم قال : «وما أتطلى أن يكتب المنار من معارف كمعارف كتابي . ويرى بريقاً كبريق ما في قرابي . ثم مع ذلك تناجيني نفسي في بعض الاوقات . ان من الممكن أن يكون مدير المنار بريئاً من هذه الإلزامات . ويمكن أنه ما عمد الى الاحتقار والقطع كالعجماوات . بل أراد أن يعصم كلام الله من سفار المضاهات . وانما الاعمال بالنيات . (وههنا حاشية في الاصل ذكرها انه يظن ان سبب غيظي منه حكمه بمنع الجهاد) فان كان هذا هو الحق فلا شك انه ادخر له بهذه المقالات . كثيراً من الدرجات . وأي ذنب على من سعى لحماية الفرقان . لا للاحتقار وكسر الشان . » — الى ان قال — : «ولكنني معتذر كمثل اعتذاره . فان الفتن قد انتشرت من أقواله وأخباره» الخ الخ